
روايات مصرية للجيب
47
ما وراء الطبيعة
أسطورة المنزل رقم 5
Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة

منتصف الليل ..

أنتم تعرفون طبعًا منتصف الليل .. إنه الوقت الذي ينتصف فيه الليل .. لا حاجة بالمرء إلى أن يكون خبيرًا في علوم الفيزياء كي يعرف هذا ..

منتصف الليل ، ولاصوت هناك سوى الأمطار ، وصوت محرك الساعة الرتيب ، وقطة تموء في مكان ما بطريقة تجعلك تتساءل : هل هي حقًا قطة ؟

كل هذه الأجواء صارت مألوفة لكم ، كما صار صوت العجوز الأصلع النحيل ، بصوته المبحوح ، وعينيه اللتين تحملان أهوال العالم .. عينيه اللتين صارتا عيني مسخ في حد ذاتهما ، حتى إنني لم أعد أعرف الخط الفاصل بين من رأى الأهوال وبين الأهوال ذاتها ..

تعالوا نصغ إلى قصة أخرى ..

لقد كتبت أربع وريقات ، على ظهورها كتبت عناوين مثل (أرض المطايا) و (المقبرة) و (المنزل رقم ٥) و (القادم ليلاً) .. الأوراق مقلوبة ، فلم لا تجربون لاختيار ورقة منها ؟

طبعًا هذه محاولة عبثية ، لأن قدركم هو اختيار الورقة التي تحمل اسم (المنزل ...) أليس هذا هو عنوان الكتيب ذاته ؟!

لا تحاولوا تحدي مصيركم .. نعم .. سأحكي لكم اليوم أسطورة المنزل رقم (٥) ، وهي مسلية ككل الأساطير والقصص التي تحوي رقم (٥) في عنوانها ..

رعب ؟ يوجد القليل منه بالتأكيد .. ثم إن للقصة طابعًا باردًا متوجسًا قاتمًا يناسب أمثالي كثيرًا ..

تعالوا نر ما يدور هناك ..

خلف أبواب المنزل رقم (٥) ..

١ ـ منزل السيدة (بانكروفت) ..

ولماذا المنزل رقم (٥) بالذات ؟

تسألينني يا (ريم) عن سبب ذهابي إلى (أستراليا) في تلك الوقت بالذات .. تسألينني عن سبب إقامتي في (سيدني) في منزل مسز (بانكروفت) .. تسألينني عن كل الرهبة والفزع اللذين يصيباني كلما سمعت عن قصة أو شاهدت فيلمًا اسمه (المنزل رقم كذا ..)

أقول لك يا (ريم) : إن أسئلتك كثيرة جدًا ، وقد بدأت تثير أعصابي .. ليس أسوأ من المرأة التي تسأل كثيرًا إلا المرأة التي تسأل أسئلة تصعب إجابتها ..

أما لماذا ذهبت إلى (أستراليا) فالسر يخصني .. وقد كنت مدعوًا على كل حال فلم أدفع تذكرة الطائرة ، وهي الكفيلة بأن أتسول بقية حياتي ..

أما لماذا أقمت في منزل مسز (بانكروفت) ، فلأنها كانت تعرض غرفة للإيجار ، وما كانت ميزانيتي تسمح بالإقامة في فندق لفترة طويلة ..

كانت عجوزًا بالطبع .. عجوزًا من الطراز الإنجليزى الوقور البارد نوعًا ، لكنها كانت سيدة طيبة بحق ، ولم تكن تتدخل فيما لا يعنيها على كل حال .. الحق أنها حتى لو تدخلت لما فهمت شيئًا من لهجتها الأسترالية (التطجينية) إياها .. كل العالم ينطق (ديفيد) كما نكتبها .. لكن الأستراليين يصرون لسبب ما على أنه ينطق (ضايفض) ، وغير هذا كثير ..

امرأة لطيفة مهذبة كانت يا (ريم) ، ومساكنًا صموتًا متحفظًا كنت .. وأحببتها أكثر حين عرفت أنها لا تطبخ للزوار أو تحنطهم أو تطعمهم للتماسيح كعادة عامة العجائز ..

المنزل يقع فى نهاية شارع طويل هادئ ، تحف به الأشجار على الجانبين .. ثمة مقاعد يجلس عليها العشاق أو المتظاهرون بالعشق ، وربما تجد أمًا جالسة مع رضيعها فى عربته ، أو ذلك العجوز الكئيب الذى تجده فى كل مكان ، الذى يعقد كفيه على بطنه ، ويرجع رأسه للوراء ويغط بصوت عال ..

أما أرضية الشارع فمرصوفة بتلك الطرز المصنوع من الحجارة الذى يسمونه Cobble Stone أو حجر الإسكافى ، وهو على قدر علمى ليس مشهدًا معتادًا إلا فى شرق أوروبا ..

وكنت فى الصباح يا (ريم) أذهب لإنهاء عملى الذى لن أذكر أية معلومات عنه ، ثم أعود فى الخامسة عصرًا لأجد العجوز - نصف الإنجليزية - جالسة فى المدخل تشرب شاى الساعة الخامسة مع البسكويت ذى نكهة الزنجبيل .. وتسألنى عما إذا كنت راغبًا فى مشاركتها الشاى ، فأقبل مرة وأعتذر مرات .. أنت تعرفين يا (ريم) أننى عازف عن أى نوع من العلاقات البشرية ، وأن القبر هو المكان الأمثل لأمثالى ..

بعد هذا أصعد إلى حجرتى ، فأقضى الوقت فى القراءة والكتابة والنوم والعصبية ، وسماع الإذاعة الأسترالية التى لا أفقه نصف ما تقول بسبب التطجين ..

طبعًا البرد شديد .. كل أستراليا عبارة عن ثلاجة كبرى ، لكن أحدًا لا يشعر بهذا سواى .. الصحة والرياضة والجمال فى كل بقعة هنا ما عدا غرفتى ..

وعند العاشرة مساءً أكف عن الغضب والسخط ، فأنام آملاً في يوم أكثر دفئًا ، وأن أعود إلى الوطن بسرعة ..

* * *

متى بدأ كل شيء ؟

أعتقد يا (ريم) أن هذا كله بدأ في الثامن من مارس .. كنت عائدًا إلى المنزل كالعادة ، لأجد الباب مفتوحًا ، وكان هناك رجل فارع القامة من الطراز الذي ما زال يعتمر قبعة .. لقد خلعها على كل حال وهو يتحدث مع السيدة ، التي وقفت تصغي إليه ، وتحرك رأسها في صرامة ، ومن هذه المسافة سمعتها تقول :

- « نو .. نو .. نو (لا .. لا .. لا) »

والرجل يحاول بشكل مهذب أن يقنعها دون جدوى .. مررت بجواره وحييتهما ، ثم اختلست نظرة سريعة إليه .. كان في الخمسين من العمر .. مهيب الملامح .. لماذا أصفه لك يا (ريم) ؟ كان

بوسعي أن أكتب لك صفحة أو صفحتين في وصفه ، لكن هذا مجهود لا طائل من ورائه لأنك تنسين كل شيء ، وعلى كل حال يكفي أنه كان أنيقًا مهيبًا .. لا شيء غير هذا ..

لم أتدخل في الأمر طبعًا لأنه لا يعنيني .. ودخلت إلى مدخل المنزل حيث كان الشاي والبسكويت ينتظران على العربة المتحركة .. إن هذا الضيف اللحوح قد أفسد على السيدة شهيتها كما أرى ..

بعد قليل سمعت الباب يغلق في عصبية ، وعادت إلى المدخل حيث كنت واقفًا وقد انسيت نفسي على ما يبدو .. سألتها في تهذيب :

« هل ثمة ما أساعدك به ؟ »

قالت بوجه مكفهر :

- « لا شيء .. إنه لحوح .. لكن الإلحاح يجعلني عنيدة .. »

صعدت إلى غرفتي ونسيت كل شيء عن الموضوع.. فقط قلت لنفسي إن الباعة الجوالين في (أستراليا) يبدون كأعضاء مجلس اللوردات الإنجليزي ..

تذكرت شيئًا غريبًا يا (ريم) .. تصوري أنني لم أصف لك المنزل بعد .. لابد أنك فهمت من الكلام أنه من طابقين ، وأنه مربع مهندم .. وأنه يحمل رقم (٥) .. هذا صحيح .. في الحقيقة لا أعرف أين يوجد المنزل السادس أو الرابع لأن الشارع خال تقريبًا .. لكن رقم (٥) كان موجودًا في كل مكان .. على المدخل وعلى الباب وعلى صندوق البريد .. وكان المنزل خاليًا تمامًا لأن السيدة ترفض كل مستأجر يأتي لها ، لكن وضعي كان خاصًا (لأنني في سن النضج) كما قلت ، ولأن صديقًا أسترليًا أوصاها عليّ .. ولابد أن طباعي المتحفظة المنغلقة الشبيهة بطباع حيوان الخلد قد راقت لها كثيرًا ..

لم يكن البيت بيتها منذ زمن سحيق .. لقد انتقلت لتعيش فيه في أوائل الأربعينات مع زوجها الخواجة (باتكروفت) ، الذي كان محاسبًا حكوميًا .. وقد توفي الرجل في يوم استسلام (برلين) بالضبط ، ومن يومها ظلت أرملة وحيدة .. ويبدو أن فكرة تأجير غرفة لم تخطر لها إلا منذ عامين .. وكانت تنوي التوسع

لو نجحت الفكرة .. ثمة خمس غرف هنا تصلح للإيجار للرجال الصلع نحيلي القوام ، الذين يتصرفون كحيوان الخلد ..

أعود للموضوع ..

في العاشرة مساءً دق جرس الباب ، وسمعتها تفتحه ، وفي هذه المرة راحت تصرخ في عصبية ، ولم أميز من كلامها المتسارع سوى كلمة (بوليس) ، وهي كلمة عالمية يعرفها الجميع .. قررت أن أمارس دور رجل البيت ، فارتديت روبًا وهرعت إلى أسفل ، لأجدها تتكلم في حدة مجنونة مع ذلك الرجل المتحمس الذي رأيته عصر اليوم ..

رآني الرجل من فوق كتفها ، فانفخ في ضيق ، وقرر فيما يبدو أن ينهي المحادثة .. سمعته يقول ضاغطًا على كلماته :

- « يجب أن تقبلي يا سيدتي .. يجب ... »

ثم لمس طرف قبعته بما يوحي بالتحية واستدار مبتعدًا ليذوب في الظلام ..

قلت لها فى حذر :

ـ « هذا البائع اللحوح ؟ لابد أنه مخبول .. »

ـ « ليس بائعًا .. إنه يشترى ولا يبيع ! »

بغباء سألتها :

ـ « يشترى ؟ يشترى أى شئ ؟ »

أغلقت الباب وأحكمت وضع المزلاج والسلسلة ، وقالت وهى تدسّ كفيها فى جيبى كنزتها الصوفية :

ـ « يريد أن يستأجر غرفة هنا لمدة أسبوعين ..

ـ « إنه حماس مبالغ فيه ، لكنى لا أرى ما يمنعك من الموافقة .. لا يبدو لى من ذلك الطراز الذى .. إنه ـ فيما أرى ـ رجل وقور كريم المحتد .. »

قالت فى غضب قاطع :

ـ « الرجال الوقورون لايقرعون الباب ليلاً طالبين منك ما رفضت منحه بعد الظهر .. ثم إن شروطه غريبة .. »

ـ « غريبة ؟ كيف ؟ »

تقدمتنى إلى داخل المنزل ، وقالت دون أن تستدير لى :

ـ « يريد أن أخلى له المنزل تمامًا .. منك ومنى طيلة هذه الفترة ! يريد أن يتفرد ببيتى تمامًا لمدة أسبوعين كاملين !! »

* * *

٢ - الميجور القديم ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

* * *

أصابني الوجوم لغرابة الطلب طبعًا .. الرجل يريد طرد المرأة من دارها لمجرد أنه يريد غرفة .. والأدهى أنه يريد طردي كذلك ..

سألتها وقد بدأت القصة تروق لي :

- « مقابل أي شيء ؟ »

- « مقابل أن يدفع إيجار ثلاثة أشهر .. »

هززت رأسي في استمتاع ، وقلت :

- « إن الجنون يفسر كل شيء .. »

قالت العجوز في اشمئزاز :

- « لكنه لا يفسر الوقاحة يا مستر (إسماعيل) .. »

ومن جديد راحت تزحف بخفيها الصوفيين متجهة نحو غرفتها ..

* * *

في الصباح جاء الميجور (برادبوري) ..

عرفت هذا لأنني كنت أهبط في الدرج متجهًا إلى وجهتي الغامضة ، حين وجدت صاحبة الدار جالسة في الصالة مع رجل أشيب له شعر قصير على جانبي الرأس ، وشارب كثّ كفرشاة البلاط .. باختصار كان يبدو كهؤلاء الجنرالات الإنجليز الذين نرى صورهم في كتب تاريخ الحرب العالمية .. لن أدهش لو كان هذا الرجل قد حارب في (العلمين) مع (مونتجمري) ..

قلت شيئًا ما ، وكدت أرحل ، لكن المرأة قالت في مرح :

- « تعال يا د. (إسماعيل) .. أقدم لك الميجور (برادبوري) الذي كان صديق المرحوم زوجي .. »



كنت أهبط الدرج متجهاً إلى مهمتي العاجلة حين وجدت صاحبة الدار جالسة في الصالة مع رجل أشيب له شعر قصير على جانبي الرأس ..

يعني لو كان زوجها قد مات في سن الثلاثين ، فعمر هذا الميجور لن يقلّ عن ستين عامًا .. لابد أنه ـ فعلاً ـ شارك في الحرب العالمية الثانية .. غالبًا مع الفيلق الأسترالي في أوروبا ..

لم أصافحه لأن طباع الإنجليز والأستراليين واحدة في هذا الصدد .. نظر لي نظرة عسكرية حادة ، ثم غمغم بتحية ما ، وفي يده رأيت صورة فوتوغرافية صغيرة اصفرّت من القدم .. قال وهو يعبث بشاربه :

ـ « ربّاه ! يا له من دهر ! أستطيع هنا أن أميز (جون) و(آرثر) و(إليزابث) ، يا لها من مسكينة ! »

قالت المرأة في حزن غامر :

ـ « أوه ! إن السرطان يحسن انتقاء ضحاياه .. حسبتك لا تعرف أنها ماتت .. »

ابتسم في مرارة ، وقال :

ـ « كنت في مصر حين أخبروني بالنبأ .. »

مصر ؟ إذن (إليزابث) المسكينة هذه توفيت منذ أكثر من عشرين عامًا .. لكنهما حزينتان كأنها ماتت حالاً ..

لم أر داعيًا لبقائي أصغي لكل هذا الهراء .. عجوزان يتبادلان ذكريات ثمينة لكنها لا تهمني على الإطلاق .. وتذكرت كيف أن كل أب مولع بأن يحكي لك ما يفعله صغيره .. كيف يبصق على الضيوف وكيف يبلل السجادة بالبول وكيف .. معتبرًا هذه معجزات صغيرة ، بينما أنت لا تبالي على الإطلاق .. فالذكريات بضاعة لا قيمة لها إلا في خزانة صاحبها ..

غادرت الدار متجهًا إلى مهمتي الفاضحة ..

* * *

وعندما عدت في الخامسة عصرًا ، كان الميجور ومضيفتي يشربان الشاي طبعًا ، ويبدو أنهما لم يفرغا من ذكريات كل من مات بالسرطان من الأحباب ..

على غير عادتها الصموت الوقور ، هتفت مسز (بانكروفت) :

- « خمن ماذا ! إن الميجور (برانبوري) راغب في الحصول على غرفة هنا .. »

أطلقت صفير دهشة وأنا لا أبالي شعرة بهذا ، وقلت لها في حماسة :

- إنه النزيل المرتقب طبعًا .

ابتسمت المرأة - مرضعة (أمنمحات) - في دلال أنثوي مزعج .. فالميجور بالطبع يمثل لها جزءًا عزيزًا من شبابها ، حين كانت شابة وربما جميلة ، وكانت حياتها تبدأ ولا تنتهي ..

قلت لنفسي : لا بأس .. صحيح أن الرجل ممجج نوعًا ، لكنه سيضفي بعض التجديد على حياتنا المملة .. وعلى الأقل هو لم يطالب بطردي .. »

وصعدت إلى غرفتي ، لأبدأ طقوس الأمسية المعتادة .. وككل ليلة التهمت عشائي في غرفتي ، وهو بعض الشطائر التي ابتاعتها من الخارج ، ثم أعددت لنفسي بعض الشاي في المطبخ ، وكتبت بعض الرسائل وتأهبت للنوم ..

وعند منتصف الليل قرع أحدهم جرس الباب عدة مرات ، وسمعت المرأة تفتحه وتزجر أحدهم هذا مرارًا ، وتردد لفظة البوليس .. الغريب هنا أنه من

الواضح أن المهجور لم يظهر في الصورة قط
المعترض أن يعرف ليشهد من أن زوجة صديقه
المرحوم .. أو كما يقولون في حمية عدن
(يطل أي منظر) ..

أدركت من الصوت الثاني أن القادم هو بلا شك
ذلك المجنون المتحمس الموقر الذي يهوى طردنا

لم أهبط من غرفتي هذه المرة لأنني لست الرجل
الوحيد هنا .. ثم إن مفاهيم (الجدعنة) العربية هذه
لا تسري في إنجلترا .. ومن ترى المرأة سوى أنثى
مجرد طفيلي آخر يهوى التدخل فيما لا يعنيه

سمعتها تتوعد المهجور في شراسة .. ثم سمعت
هدير القرص مما يعني أنها تنفذ تهديدها بالفعل
لكن صوتا حازما جاء من قريب يقول :

— « تمهلي يا (جلاديس) .. »

كان هذا هو المهجور بالطبع .. وهكذا بعد أن أدركت
أنه هبط في الدرج كي يشرح لها أسبابه .. لماذا
لا يجب أن تتصل بالبوليس .. وهي أسباب مقنعة
بالتأكيد لأنها كفت عن المحاولة

ولا أدري يا (ريم) متى سقط القلم من يدي
وصمت ..

* * *

في اليوم التالي جاء (جيمس شرودر) وزوجته
الحسناء (كارلا) ..

كان ذلك في الصباح الباكر .. وأدركت حين
رأيتهم أنهما في الغالب متحمسين بعد إقامته في
المنزل رقم (9) ..

كان يلتمس عرض منهم للمهجور .. والمرأة ترفض
باستمرار وإصرار .. هل تعرفين ماذا كانا يطلبان ؟
نعم .. يطلبان الإقامة بشرط إخلاء المنزل لهما .. كيف
عرفت ؟ أنك صرت عبقرية هذه الأيام يا (ريم) !

بالطبع لم تعد الفكرة واردة أصلا .. لكن المرأة
العجوز كانت أقل شراسة في رفضها .. ربما بسبب
أن الزوجين كانا جميلي الشكل مهذبين .. ولكن
جمال هيئة كما يقول (توفيق الحكيم) .. كلانا بالغ
الأناقة .. وبرغم أنني لم أعد أميز هذه الأشياء فإنني
أدركت أن الفتاة فاتنة ..

مررت بالزوجين وحييتهما بهزة رأس لكنهما راحا يرمقانني بفضول غير عادي حتى حسبت أنني نسيت ارتداء البنطلون ثم همس الشاب للعجوز

— « من هو ؟ »

— « هذا ليس شأنك لكني — كي أريحك — أقول إنه طبيب مصري نزيل عندي . »

ونظرت لهما نظرة ثاقبة لكنهما تبادلا النظرات — الرجل وزوجته — ثم راحت تهز رأسها نافية كمن يقول : لا .. ليس هو ..

تباطأت في الابتعاد لأسمع ما يقولون ، فجاءني صوت الرجل الوسيم يسأل العجوز ، وأدركت من نبرة الكلام أنه يعرض عليها صورة فوتوغرافية :

— « هل رأيت هذا من قبل ؟ »

— « هذا ليس شأنك .. »

— « هل جاء يطلب غرفة ؟ »

— « إنني لا أتكلم الإنكليزية أيها الشاب . »

عاد يقول في إصرار :

— « لو جاءك يطلب غرفة ، فأنا أنصحك ألا تقبلي هذا شيء لا مزاح فيه .. »

أدركت من الكلام أن المرء يرى الآن صورة شخص ما غير مرغوب فيه ، لكن من هو ؟ « أنا لا أتكلم الإنجليزية » .. فالتنبه بنفسه كانت هي فعلا تتكلم الإنجليزية ، ولكن بالأسترالية لهجة مميزة متخصصة

كنت قد ابتعدت عن الأصوات ، فرحت أمشي في الشارع الهادئ أفكر ..

ما معنى هذا كله ؟

بمعنى هل صار المريض رقم (٠) فجأة أهم مريض في الكون ؟ »

* * *

٣- وتجيء (ساندرا) ..

ولماذا الرقم (5) بالذات ؟

* * *

وفي المساء عدت لأسمع ضحكات عالية صاخبة من قاعة الجلوس .. كنت قد تأخرت قليلا هذا اليوم لذا لم أتوقع أن أجد جلسة الشاي بعد ..

اتجهت إلى المدرج ، فقط لأسمع خطوات مرحة وثابة من ورائي .. واستدرت لأجد فتاة في العشرين من عمرها تركض حافية ، وهي تلوح بزجاجة يفور الزبد من فوهتها .. قفزت إلى رأسي حتى بدا عليها الخجل ، وقالت مبهوتة

- « معذرة .. ما كنت أحسب هناك شخصا آخر سوانا .. »

وفي اللحظة التالية بـ (ريم) برزت مسز (بانكروفت) من حجرة الجلوس لترى المشهد

قالت وهي تضغط على صدرها كي تكتم الضحك

- « أستميحك عذرا يا د. (إسماعيل) .. لا شيء يمكنه كبح جماح الشباب .. إن (ساندرا) تحتفل كما ترى ، ونحن نرحب بانضمامك إليها .. »

قلت لها في تعاسة .. إنني لا أهوى الحفلات ، خاصة تلك التي توجد بها زجاجات يفور منها الزبد

ولكن من هي (ساندرا) ؟

طوقت كتف الفتاة بذراعها .. وقالت

- « (ساندرا) هي ابنة أعز صديقة لي ، وأنا لم ألقها منذ عشرة أعوام .. إنني بمثابة خالتها .. »

وتأملت الفتاة بدقة .. الحق أنها جميلة .. لا ينكر هذا إلا أحمق ، لكني لم أحب عينيها قط ، وبنظرة أدق اندهشت من منظر العينين في القرنيتين .. إن عينيها زرقاوان لكن الحدقتين كانتا سوداوين مختلفتين بدقة ، كأنما هناك نقطتان سوداوان في العينين .. منظر طبيعي وربما معتاد ، لكنه مزعج إلى حد ما

حييت الفتاة وصعدت إلى حجرتي

لقد صار الممر رقم ٢ أكثر ممرات الفندق ازدحاماً فيما يبدو .. والسيد جيمس صار مسروراً لأن الممر لم يعد مسكوناً بثلاث مومياوات تنتظر الموت (أنا والعجوز والمجنون) .. لكن الأمر صار غريباً

هذه العجوز حمقاء إن لم تدهش لهذا كله

حمقاء إن لم تتحول دهشتها إلى رعب

يوجد نزلاء في الممر رقم (٢) .. وهذا النزل جعل الجميع متحمسين للبقاء فيه

ومن شأني بهذا على كل حال يا (ريم) .. إنهم إسرائيليون (في بعض) .. وهم أحرار على كل حال

كان آخر من جاء بعد (ريم) هو (جيمسون) وقد جاء في صباح اليوم التالي . ودارت بينه والعجوز محادثة قصيرة ..

كان ضخم الجثة كالدب .. يبدو عليه الصلف ومن الجلي أن المشاجرات تروق له .. وكان وجهه كتلة من الشعر بها لسان أحمر يبرز من مكان ما ، ما بين اللحية والشارب والحاجبين الكثين .. لا أدري

أين رأيت لوحة كاريكاتورية تمثل مسخ البحر ، ولكن يبدو كهذا بالضبط ..

كان يقول لها وهو يلوح بإصبع غليظ في وجهها

- « اسمعي يا سيدة .. حين يطلب (جيمسون) غرفة فهو يحصل عليها .. »

وكانت تقول في ثبات :

- « ليس لدي شيء .. عد إلى الحانة التي جئت منها .. »

- « إن من يعيشون تحت سقفك لن يقدموا لك خدمة ما .. عليك أن تعرفي أين المصلحة .. »

- « اغرب قبل أن أستدعي رجال الشرطة .. »

ثم توقف عن الكلام حين رآني .. واتسعت عيناه الشرستان دهشة .. وراح يرمقني باهتمام .. يبدو أن منظري غريب مما تصورت

قلت له في كياسة :

- « يا سيد .. السيدة تعرف إن كانت تريد أن تؤجر غرفة أم لا .. هذا من حقها .. »

هذا هو ما قلت ، حتى لا تجد قبضته العتيقة سطوة في وجهي حتى عظمة المسرح الشركي في قاع الجمجمة ..

لكن رد فعله فاق تصوراتي .. لقد تجلى وجهه وهتف بصوت كالمصعوق :

ـ « (ميدا) ! هل هذا أنت ؟ » .

قالت العجوز في اشمئزاز

ـ « اسمه هو (اسماعيل) .. ثم هذا ليس من شأنك ! »

لكن الرجل واصل النظر إلي

ـ « (ميدا) .. هل أنت ؟ هل تفهم ما أتكلم عنه ؟ »

قلت وقد بدأت أتعمد فيه الجهل

ـ « ولا حرف .. سيدي .. [illegible] السيدة محقة في تهديدها .. »

[illegible] وهو مازال يرمقني من فوق كتفه حتى [illegible] بالبصر .. [illegible] شخصيتي

الجيرة هي ما يرغمه على التراجع .. هكذا يجب أن يحس المرء .. ثم عطفت إلى أن في الأمر سرًا لا أدريه .

[illegible] فقط الجرس

صحت في العجوز

ـ « ما سر هذا البيت يا مدام ؟ وما سبب هذا الحماس المجنون لسكنى فيه ؟ »

قالت ما معناه (عمي عليك) .. ثم أطرقت قليلاً وهمست في قلق :

ـ « (اسماعيل) .. أصارحك أنني خائفة .. عجوز وحيدة ضعيفة .. وثمة شيء ما شرير يجري هنا .. »

قلت لها في حنق :

ـ « لست وحيدة .. لديك المجنون و (ساندر) »

ـ « بل إنهما يريدان الأمور سوءًا ! »

ـ « ماذا تقصدين ؟ »

أغلقت الباب علي من الخارج ، بحيث صرت أنا

وهي تخرج للسوق .. ونظرت لأعلى لتتأكد من أن أحداً لا يراقبنا من بالأعلى .. ثم همست:

- «إن الشبه تام، ومعلوماتهم دقيقة .. لكن مع الثرثرة الطويلة لابد من أن نقف لنفحص، لنجعلك تتردد .. هل حقاً الأمر كما حسبناه .. أم أنك وقعت في خطأ مريع؟»

بفخر عدت أسألها:

- «مازلت لا أفهم ..»

نظرت حولها مرة أخرى لتتحقق من أن أحداً لا يسمعها، وهمست:

- «هذان لا يمكن أن يكونا (سامنتر) و(الميجور) .. هذان الاثنان ممثلان يلعبان دورهما ببراعة ..»

* * *

٤ - هل أنت خائف مثلي ؟!

فتحت الباب، وصاحت:

- «(سامنترا) يا عزيزتي .. أنا ذاهبة إلى مكتب البريد لأسأل عن معاشي .. أرجو أن تبقى بالبيت حتى أعود .. أنت ملاك يا عزيزتي ..»

ثم أغلقت الباب وتأبطت ذراعي محاولة ألا تتعثر. الحقيقة أن مسز (بانكروفت) لم تكن تحب الشارع، ويبدو أن الشارع لا يحبها كذلك .. والشمس لفحتها تحتها مرة أو مرتين ..

مشينا بضع خطوات في الطريق الهادئ، حيث لا نجد إلا الرجل المجنون الساكن كالعادة .. فلما أن ابتعدنا مسافة كافية حتى نظرت للوراء، وهمست:

- «حتى لا يسمع أحد ما نقول ..»

ولم تكن بحاجة لتشرح على كل حال، فالأمر واضح لكني لا أطيق أن أمشي في الشارع وقد تأبطت امرأة ذراعي، خاصة لو كانت [illegible] ([illegible])



سمتها وقد ألهث لأنها تتشبث بذراعي بقوة

ـ « ما الذي يدعوك إلى الظن بأن هناك من يتقمص ؟ »

قالت وهي تلهث بدورها :

ـ « ثمة أشياء صغيرة في كلامهما لا تروق لي

أشياء لا يهمك أن تعرفها ، لكنها كثيرة .. مثلاً

زوجي لم يذق الخمر في حياته بينما الميجور يحكي

عن ولع زوجي بالويسكي .. صديقتي لم تكن تعرف

كيف تصنع فطيرة التوت .. و(مسز) ساندرز ، تحدثت

عرضاً عن فطيرة التوت التي علمتها أمها .. أشياء

من هذا القبيل ..

ـ لكن ضربت عجوز سهمة تحدث ؟ ويمكن أن هناك

من يعرف الكثير عن الميجور من عقود .. ومسز

ساندرز .. فقد كانت في العاشرة من عمرها .. لكن

يظل السؤال هو : كيف يعرف هذان كل هذا عني ؟ »

كنا الآن في شارع رئيسي تصطف فيه السيارات

ـ على الممر كالعادة ـ ولاحظت أنها تقصد مكتب البريد

فعلاً .. لعلها تحسب هناك من يراقبها .. لكن .. سألتها

ـ « وما الذي يدفع هؤلاء لانتحال شخصيتي ؟ »

- « لتعس السبب الذي جاء من أجله الآخرون [illegible] إنها الطريقة المثلى للمبيت تحت سقف البيت. أنت تعرف التي طردت كل من حاول السكنى هنا ما عداك. ويبدو أن هناك من فهم أن الحيلة هي السبيل الوحيد [illegible] »

سرني أنها بدت بلا حظ [illegible] فكففت عن السير وسألتها:

- « مستر (بلتكروفت) لاحظت أن هناك جمعًا شعبيًا غير مسبوق بالقسم عندك. فهل تعتقدين أن هناك سببًا محددًا لهذا الحماس؟ »

- « لا أعرف .. »

- « هل البيت مشيد فوق كنز أو شيء من هذا القبيل؟ »

- « لا أعرف [illegible] إنه قديم جدًا [illegible] لكن لا توجد أية أسطورة مرتبطة به لو كان هذا ما تقصد [illegible] »

[illegible] الصمت من جديد. وبعد تفكير سألتها:

- « ماذا تنوين عمله؟ »

- « لو كنت أعرف ما سألتك [illegible] »

هذه هي المشكلة [illegible] بيعت العمارة [illegible] تكشف مصيرة على أن [illegible] وعلى أن أقول شيئًا [illegible] لا أبوح به [illegible] قلت لها:

- « لم لا تطلبين الشرطة؟ »

- « ثمة احتمال [illegible] أن يكون هذان هم الميجور ر (مستر [illegible]) وقد حاولت التذكر [illegible] أعتقد أنه سيكون موقف سخيف [illegible] »

فتنبهت للغلط. فقلت لها

- « إذن ما المطلوب مني؟ »

- « أن تبقى معي [illegible] أشعر بالخوف الشديد [illegible] فهل أنت خائف مثلي؟ »

- « ليس تمامًا [illegible] على [illegible] »

فتحت كيس [illegible] لتصحف. والتقطت جريدة الصباح وقلبت

— « نعم ... معك حق ... حسن الحظ أن يكون في مكان حر تذهب إليه ... من الحمقى أن يترك المرء كل المشاكل ويركب طائرة ويحلق مبتعدًا .. »

وفي هذه اللحظة مرت بنا سيارة مسرعة ... بعثرت بعض ماء الأمطار المتبقية المحتشد على جانب الرصيف في وجهي ... كدت أطلق السباب ولا أنسى [illegible] حين رأيت من في السيارة ... إنهم أربعة أفراد ... السائق هو الأخ الشرس الذي عرفته باسم (جيمس) وجورج الرجل الوقور الذي يريد طردي وفي المقعد الخلفي يجلس الزوجان الجميلان

هذا غريب !

أين كل هؤلاء السادة متعارفون وعلى علاقة وطيدة [illegible] يأتون مسرعين ؟

لم تر العجوز [illegible] قررت ألا تخبرها ، فهي [illegible] من هذا شيء معيب ... وفي المكتب سيرتجف قلبها ذعرًا ..

* * *

[illegible] يدق أحدهم على باب غرفتي فجفلت ... ثم يفتح الباب [illegible] من الواضح [illegible] الفتحة ذات مدلول علمي .

— « ادخل ! »

كنت [illegible] في عصبية ... فانفتح الباب ... بالطبع لم تكن العجوز لأنها لا تستطيع [illegible] لم تكن [illegible] لأنه لا يطيق رؤيتي ... كانت [illegible] طبعًا

توجست خيفة [illegible] كما قلت ... لم أحب وجودها قط ... ولم أستطع [illegible] العام بالتهاب رقعة ..

كانت ترتدي [illegible] رمادية أنيقة وبدا لي أنها فرغت [illegible] لأنها كانت [illegible] شيئًا ما ..

[illegible] وضعت الورق في [illegible] وقالت :

— « ما هذا الذي تكتبه ؟ »

— « مذكرات .. »

راحت تمرر أصبعها على الحروف كطفل وقالت

- « هل هذه هي اللغة العربية ؟ كيف تقرؤونها ؟ »

- « كما يقرأ الهنود [illegible] والصينيون اليابانية »

- « وما معنى هذا المكتوب ؟ »

قلت في صبر :

- « معناه [illegible] أرغب [illegible] يحمل [illegible] [illegible] على [illegible] بالعربية »

والحق [illegible] موضوع [illegible] أهمية على هذه الأمور [illegible] ثم [illegible] هو [illegible] على خصوصية شخص [illegible]

[illegible] عينيها [illegible] تزدادان [illegible] من [illegible] عينيها [illegible] في [illegible] الضوء [illegible] الأزرق يبدو كأنما يتوهج ..

قالت بلهجة جادة حازمة :

- « [illegible] كم من الوقت تزمع البقاء هنا ؟ »

قلت لها مندهشًا :

- « ليس كثيرًا .. لماذا ؟ »

[illegible]

- « لو كنت [illegible] العشرين [illegible] فلا [illegible] الجحيم بطارق ! »

سجعد [illegible]

- هل لي أن أعرف السبب ؟ »

ضغطت بأسنانها على شفتيها [illegible] [illegible]

- « [illegible] »

ثم مدت يدها [illegible] أصابعها أمامي ، وضغطت به على شفتي السفلى واستدارت مغادرة الغرفة ..

تركة إياي أرتجف كالورقة ..

كنت دائمًا أقوى من الحصر المعنوي منذ بدء من الخطر المادي .

وما كان يهدئ [illegible] نفسها [illegible] .. لكن الغموض الذي توحي به كلمتها هو ما جعل قلبي يرتجف

[illegible] من مارس .. هذا هو الموعد المرتقب لأي شيء بالضبط ؟

[illegible] أعرف حقًا .. [illegible] علي أن أقر من هذه [illegible]

ونظرت إلى التقويم على الجدار

[illegible] هذا هو اليوم السادس عشر من مارس ويعد ساعة سوف انزع هذه الورقة .. ويبقى على الموعد ثلاثة أيام

* * *

ثلاثة أيام !

ولكن على ماذا ؟

* * *

٥ ـ ستة وواحد ..

قررت أن يكون اليوم التالي اجازة

كنت تعرفين يا [illegible] أن الهدف الذي [illegible] من جسده [illegible] .. وإن قصته [illegible] راحت تؤرقني ..

في الصباح استيقظت على راحتي .. وكعادة [illegible] بلا [illegible] التي [illegible] عادت الصور ومشيت في الشارع [illegible] من أمطار ليلية ما ..

[illegible] المدينة في الشوارع .. فهي [illegible] من [illegible] حيث [illegible] مشيت الهوينى قاصدًا دار البلدية ..

لماذا دار البلدية ؟ لأنني قد أظفر بمعلومات عن هذا البيت الغامض .. أنت تعرفين أن كل هذه البيوت في قصص الرعب بنيت فوق مقبرة هندية قديمة

- لم تكن هناك جثث في السرداب - أو فوق كثير من كنوز الآثار .. أو يحدثها الناس بخطوب

لم نجد من ترتبط بمهنته [illegible] التي في القاهرة [illegible] جد معهم [illegible] [illegible] في اللغة الإنجليزية .. وفي النهاية [illegible] موظف متحمس بأن يبحث لي عن المعلومة التي [illegible] .. وكانت النتيجة مهمة :

أولا : لا توجد أية أساطير مرتبطة بالسرداب

ثانيا : تم بناؤه عام ١٨٨٤ [illegible] أي أنه يدنو من مائة عام الآن

ثالثا : صاحب السرداب [illegible] وهو [illegible] من يملك السرداب بجانبه، ولم يتزوج أو ينجب .. وقد سافر إلى إنجلترا بعد الحرب .. [illegible] عام ١٩٤١ [illegible] .. ولم يكن ساحرًا ولا ممن يأكلون لحم القطط .. ويستطيع ثم بيع روحه للشيطان

السرداب ليس قديمًا .. وليس محفوفًا بالأسرار .. ولا تعلق عليه البلدية أية أهمية ..

شكرت الرجل على هذه المعلومات القيمة .. نعم هي قيمة من حيث النفي .. وأنا طبيب وأعرف أن نتيجة اختبار الورق النافية قد تكون أكثر أهمية من النتيجة المؤكدة ..

لا أهمية تاريخية ولا يوجد خطر يحوم حوله

إذن لماذا يصر هؤلاء السادة على التسكع فيه ؟

* * *

وفي اليوم التالي كنت عائدا إلى السرداب حوالي الواحدة ظهرا، وأنا قد عدت إليه في كل وقت ممكن ما عدا ما قبل الثالثة بعد الظهر .. فهذا إذن طور زمني لم تشرف بالتواجد فيه قط

كنت الآن عند بداية الشارع، وكانت الإشارة حمراء تسمح بمرور المارة .. توقفت لحظة كي أحكم معطفي حول جسدي، وكي لا أتجمد

على الجهة الأخرى من الطريق، لمحت الشمطاء العجوز تهم بالمرور .. كانت تحمل حقيبة تسوق

السوداء المطرزة بالكتفاء ، وقد بدا عليها التهم والشرود ... كانت غارقة في محيط أفكارها ولكنها - على الأقل - كانت تعرف أن الإشارة تسمح بالمرور ، والشارع لم يكن مزدحماً على أي حال

هنا ... بدأ - كما يحدث في أفلام الرسوم المتحركة - برزت من لا مكان سيارة مسرعة ، رأيت أرض الشارع حوله ... ووضعت السيدة قدميها على الأرض ، حين عرفت على الفور ما سيحدث

رفعت كفيّ صارخاً ..

- « مستر (بانكروووووفت) » ..

لكن السيارة كانت أسرع من الصوت ... أسرع من صرختي ... ورأيت ... طارت العجوز في الهواء ... واندفعت السيارة مبتعدة ... وكانت تلك اللحظة أكثر رعباً بالرغم من أني أتذكره

وجريت عابراً الطريق إلى كومة الثياب التي كانت مستر (بانكروفت) من دقائق ... وطوال عشر ساعات ثمة لمسة درامية محيطة في الموت المفاجئ ، وهو بالتأكيد يختلف كثيراً عن الموت البطيء الذي

يستغرق شهوراً أو أعواماً مع الكثير من الأنين والسعال والتوصيات ... لمسة درامية تثير هذه الرجفة في ساقي وضربات قلبي المضطربة ، وبدا لي عجيباً تماماً عن الوصول إلى علبة أقراص (النتروجليسرين) في جيب البذلة تحت المعطف

ركعت جوارها ، وكانت فاقدة الرشد - طبعاً - لكنها لم تمت ... ثمة كسور لا بأس بها في عدة مواضع ، ونزف داخلي في العقل لكنها كانت تتنفس

ووقف بعض المارة يرمقون المشهد في لا مبالاة ، يعتبرون أن من حق أي إنسان أن يموت في الشارع ولكن السحن فيه ذوق ... وهذا يدعو إلى التهذيب

صحت فيهم أن يطلب أحدهم الإسعاف بحق السماء ، وظهر رجل شرطة عابس من مكان ما وسألني أسئلة تقليدية عن السيارة ... أوصافها ... إلخ

حين جاء الإسعاف ... وعرفت أنه ليس من حقي الركوب مع العجوز لأنه لا يمكن لي ... هكذا عرفت اسم المستشفى وركبت أول سيارة أجرة قابلتها ولحقت بالمصابة هناك

* * *

لابد أن الأمر يستغرق دهوراً يا (ريم)، لكن الساعة قالت لي إن ثلاث ساعات مرت، حتى سمح لي بالدخول إلى غرفتها

كانت مضمدة كالمومياء، وكمية من الجبس تصلح لبناء معبد فرعوني .. ولكنها كانت تتنفس وتبتسم ..

دنوت منها متهيباً وسألتها سؤالاً سخيفاً

- « كيف حالك يا مسز (بانكروفت) ؟ »

ضحكت ثانية .. ثم أمسكت لجروح مؤلمة، وقالت

- « إني .. حالي كما ترى .. لكن هؤلاء الأطباء لم يعملوا أية عجوز صلبة مثلي .. »

ثم نظرت لي بعينيها الزرقاوين الرماديتين الملتهبتين، وقالت :

- « هل ستعود للإقامة في المنزل ؟ »

قلت لها وأنا أمرر عنقي عبر غابة الخراطيم المحيطة بها :

- « ليس لي مكان آخر أذهب إليه .. وفي الغالب سأؤجل سفري قليلاً حتى أتأكد من أنك بخير .. »

قالت في حزم :

- « لا تبق في المنزل ! »

- « ولكن .. الإيجار .. و ... »

- « دعك من هذه السخافات .. اذهب الآن واجمع حاجياتك، ثم ابحث عن أي فندق .. لو اضطررت إلى المبيت في الحديقة العامة فلا تتردد .. »

فكرت هنيهة، ثم قلت :

- « لم يحضر المسيو (ساندرز) بعد .. »

- « لا تقلق .. إنهما على كل حال يعلمان ! »

- « أي أنت وحدك في هذا العالم ؟ »

- « أنا وحدي .. لكن قريب مني .. هل أخاف .. »

- « ولماذا لا تبيع (ساندرز) على الأقل ؟ »

- « لا تقلق .. وكن حذراً ! »

باختصار تريد مني السيدة أن أنسى الأمر برمته
وهذا شيء يصعب ابتلاعه لكنه إرادتها على كل
حال ..

جاءت الممرضة تتطوس كالعادة . فحييت مستر
(باتكروفت) . وغادرت المستشفى مبتسمًا الأكثر
تعرفي بـ (ريم) هذه المواقف طيب وتعرفي كيف
يبدو المرء حينها ..

* * *

لم يلحظ أحد في القصر حين وصلت إليه بعد الثانية
وصرت هناك فاتجهت إلى حجرتي وجلست على
الفراش شارد الذهن .. ربما ظللت هكذا نصف ساعة
أو أكثر ..

جميعهم يريد أن أرحل .. العجوز .. و (سيفر)
وريمو التي ستكون هنا .. يبدو غريبًا أن أترك العجوز
في هذه الظروف لكن لا حيلة لي .. سأحترم رغبتهم
و ...

ومن جديد تحرك الفلاح الرابض في أعماقي يسألني

عن (الجدعنة) و (الشهامة) .. المرأة لا رفيق لها بين
البشر .. وهي عجوز وفي خطر .. فماذا يكون موقفك ؟

في النهاية وجدت حلاً وسطًا .. سأبقى في القصر
يومين أو ثلاثة حتى تتضح الأمور .. وبعدها يمكن
أن أرحل بضمير مستريح

وبعدما قررت هذا .. (ريم) غادرت الغرفة
قررت أن ألقى الميجور و (ساندرا) لأفهم ما
حدث للعجوز

نزلت إلى قاعة الجلوس وتنحنحت ثم دخلت ..
متوقعًا ألا يكون هناك أحد .. أو على الأقل الفتاة فقط
لكنني صعقت ..

كان الجميع جالسين ..

(ساندرا) و (جيمسون) و (الميجور) و (الزوجان
الصينيان) والرجل الوقور المتخصص .. ستة من
الضيوف غير المرغوب فيهم بجيمسون لأن في
غرفة جلوس المرأة التي طردت أربعة منهم

نظرت حولي في ريبة .. كانوا جالسين في استرخاء بثياب مريحة . وقد انهمك اثنان في مطالعة الصحف ، بينما الباقون يتسلون بالحياكة .. ورفعوا عيونهم نحوي في برود كأنما يقولون .. ثم ماذا تريد هذه المرة ؟

سعلت لأسلك حلقي ، ثم قلت موجهاً الكلام لـ (ساندرا) :

- « مستر (بانكروفت) في المستشفى .. حادث سيارة .. »

ابتسمت وقالت في رسمية :

- « أعرف .. شكراً .. ثم ماذا ؟ »

- « حسبت أن من واجبي إبلاغك .. »

- « أكرر أنني أعرف .. »

وهنا تدخل الميجور ليقول في لهجة عسكرية جافة ..

- « متى تنوي الرحيل ؟ »

علا الدم في عروقي ، وقلت ضاغطاً على كلماتي :

- « لا أنوي .. »

- « لا أحد يريدك هنا أيها الشاب .. »

شاب ؟ حقاً شاب .. حتى (رفعت إسماعيل) يمكن أن يبدو شاباً بالنسبة إلى هذا الرجل .. قلت في عصبية :

- « لقد استأجرت غرفتي من مستر (بانكروفت) ، وهو وحده صاحب الحق في طردي منها .. وإلى أن تحين اللحظة فأنتم جميعاً مثلي مجبرون على هذا المصير .. »

هم (جيمسون) بالنهوض - ليحطم رأسي طبعاً - لكن الرجل الوقور أمسك بمعصمه بين أصابعه (دعه وشأنه) .. وقال في هدوء :

- « ربما كنت محقاً في أن تعبر عن رأيك هكذا يا د. (إسماعيل) .. »

ثم هز رأسه محيياً ، فهززت رأسي بالمثل ، وصعدت إلى غرفتي من جديد .

* * *

وفي غرفتي - كالمجنون - أخرجت ورقة ورحت
أخط عليها الاحتمالات المختلفة .. فقط بحوزتك
الورقة التي حشد من الخطوط المتعرجة والأسهم
هذا هو ما يفضي إليه الأمر ..

صارت الأمور الآن واضحة في ذهني .. العجوز
صدمتها سيارة بفعل فاعل .. لم يكن هناك من
الفاعل ؟ صار هو واحد من هؤلاء القسمة ..
المعشر .. من يمكن بخروج (جيمسون) من الموضوع
لأن السيارة التي دهمت العجوز لم تكن سيارته
اعتقد بشكل ما أن الزوج الوسيم هو من فعلها
لأن الرجل هادئ الطباع الوقور لا يملك سيارة

الهدف .. كشف طريقة مبتكرة لإرغام العجوز على
ترك منزلها .. هذا هو العرض الذي لا يرفض)
بلغة رجال المافيا ..

وبالتالي صار الباب مفتوحاً لثلاثة غير
مرغوب فيهم هم (جيمسون) والزوجين والرجل
الوقور .. ولقد صار الجيد بينهم

لماذا ؟ لو كنت أعرف لما جلست في حجرتي
وحيداً .. أخط على الورق شكلاً لا معنى له
هذا البيت خطير ..
لكن من .. غادره بهذه السرعة

* * *

٦ ـ مفاجأة غير سارة ..

ولماذا المريض رقم (٢) بالذات ؟

* * *

صباح اليوم التالي قصدت المستشفى .. منذ حدث يشعر الطبيب بالألفة مع جو المستشفيات ورائحة المطهرات وثوب العاملين الأبيض .. تلك الأشياء التي قد تصيب غير الأطباء بالقلق.

كانت العجوز في حالة طيبة .. إن رسمها سليم وجمجمتها لا بأس بها .. فلا خطر عليها إلا من جلطات الساقين .. وهذه سوف تعلن عن نفسها يومًا ما في دورة المياه بعد أول خطوات لها خارج الفراش .. ستسقط ميتة ببساطة .. إن لم يكن التمريض هنا يعرف ما يفعله

سألتني :

ـ « أما زلت في المنزل ؟ »

هززت رأسي أن بلى ..

ـ « إنك عنيد .. وماذا قالوا لك ؟ »

ـ « كلهم هناك .. وقد طلبوا مني الرحيل .. »

ـ « افعل كما طلبوا منك .. »

بالطبع لا توجد صيغة مثنى في الإنجليزية .. لذا لم تكن تعني (قالوا لك ـ طلبوا منك) بل تعني (قالا لك ـ طلبا منك) .

وأعتقد أنها لم تحس أنني أستعمل صيغة الجمع متعمدًا .. لم أرد أن أصدمها .. أو أن أجعل جنونها .. ستصاب بنوبة قلبية لو عرفت بأمر الزوار المتطفلين

اطمأننت عليها وغادرت المستشفى .. وفي طريقي إلى المنزل ابتعت بعض الصحف .. ومشيت أفكر في هذه القصة

طوب .. طوب .. حين .. بعض الغبار يتناثر في وجهي من الحائط الذي كنت أمشي جواره .. لكن هذه أشياء صغيرة ..



[illegible]

كان الطريق خاليًا .. نظرت إلى اليمين لأتأكد ثم إلى اليسار .. أكثر من مرة كانت السيارات تدهمني لأنني أنسى أن هؤلاء القوم يقودون سياراتهم على يسار الطريق

لا بأس .. لنتهيأ للعبور ..

وفجأة نظرت إلى يساري - كنت بحاجة حقًا - فوجدت السيارة الزرقاء تعدو مثل الغول المرعب الذي نسميه عندنا في مصر (صفة أمريكاني) ونسميه دول الخليج (مخبط [illegible]) ور [illegible] نحوي بسرعة جهنمية

طبعًا لو لم أنظر لما كتبت هذه السطور لكني سحبت جزءًا على الخلف من الثانية تستطيع خلالها أن أثب إلى الرصيف، ورأيت [illegible] السيارة تمرق كسهم أزرق في الموضع الذي كنت فيه حالاً ..

سائق؟ لا يوجد سائق طبعًا يا [illegible]

كل السيارات التي تبرز فجأة من العدم لا يقودها سائق حسب هذا مفهوم ومتفق عليه

وقام ؟ مستحيل قراءه وقام حين تنطلق السيارة
بهذه السرعه ، وحين وقفت على قدمي تراجعت
كانت السيارة في عداد الاوهام

يا لي من ساذج !

لك العقبة الاخيرة في طريق هؤلاء القوم ومشروعهم
... وهم كانوا يقتلون الطبيب الاول ـ العجوز ـ
فكيف غاب عني ان الخلاص مني سر بهذه البساطة ؟ ـ

* * *

قلوب ... حيل الى ان ... النهار

* * *

صوت (الصوت) هذا ليس غريب علي ... ان
كان هناك من يصوب علي بندقية بتلسكوب كاتمة
للصوت ، ولابد ان يده اهتزت لان الطلقة أصابت
الجدار على بعد سنتيمترات من رأسي

لكن ... لايمكن اثبات شيء من هذا لدى الشرطة ،
لكن الأمور ... منحى خطيرا . وقد حان وقت

التخلي عن رحلتي ؛ لان القبور تعج بالشجعان كما
يقولون . هل يكسب أحد شيئا من قبر جديد

وهكذا اتجهت في الممر حريصا على ان ابقى فوق
الحرير قدر الإمكان ، وان أجد السير متجنبا الحركة
المنتظمة التي يصعب التنبؤ بها

وصلت إلى الباب دون أحداث ، ففتحت الباب ودخلت ،
ولم يكن ثمة أحد في المدخل ولا قاعة الجلوس

لهذا صعدت إلى حجرتي ، وبدأت أحزم أشيائي
استغرق الأمر نصف ساعة ، وفي النهاية حملت الحقيبة
الثقيلة مترنحا ورحت أهبط في الدرج ، محاذرا أن
أدق عنقي ..

كان الباب الرئيسي موصدا ، فعالجت قفل (اللاتش)
في ضجه لكنه أبى ان يتحرك

غريب هذا ... أخرجت مفتاحي ودسسته في الثقب ،
فأبى أن يدخل ... جربت مرارا ... لكن لاجدوى

وانتصب الشعر الباقي على جانبي رأسي رعبا

لقد بين أحدهم قلب (الكلوب) ، ولم يعد يعطيني قيمة .

لابأس .. كنت أتوقع تصرفًا كهذا .. ربما لم يقصدوا أن أشعر بدخول المنزل ولسبب حرجه ، وقاموا بالتبديل في هذه اللحظات ..

لكني كنت أعرف الحقيقة .

هم يعرفون أنني دخلت المنزل .. لابد أن يكونوا مصابين بالصمم كي لايسمعوا الضجة التي أحدثتها منذ جئت ،

هؤلاء القوم قد يتجنبونني هنا عامدين

فلماذا ؟

والسؤال الأخطر هنا هو .. هل هم بداخل البيت الآن أم خارجه ؟

* * *

لاسبب أعتقد أنك ستهيئين يا (ريم) .. قررت ألا أبدأ الصراخ كالحمقى . فلابد أن هناك خطأ ما وأن قفل الباب معيب . ولست راغبًا في الرحيل

قررت أن أعتمد على نفسي .. ما حك جلدك مثل ظفرك ..

كانت هناك ثلاثة بالطابق الأرضي ، يمكنها مدعمة بالتحديد لأن المنزل (باتكروفت) عجوز وحيدة ، لابد أن يدخل عليها لص ويذبحها يومًا ما

هناك المطبخ ، وهو في مؤخرة المنزل .. ويطل على شرفة جميلة تطل بدورها على حديقة مهدمة كانت العجوز تحبها كثيرًا .. الشرفة تقود إلى أربع درجات إلى الحديقة ..

وهكذا بحثت عن الحقيبة العزيزة .. ومشيت كالحمقى - لا أعرف ما هو - نحو المطبخ ، وأنا أتمنى ألا أجد العزيز (جيمسون) بعد أن تلمسه بعض الشيء هناك .. أنا ملتبس العين هذا في المطبخ الصغير بالطابق العلوي ..

نظرت إلى المطبخ الفسيح فلم أر أحدًا .. كان هناك قط رمادي يرمقني في فضول ، وأنا لا أذكر أن العجوز كان لديها قط .. لكن هذا من حقها

لكن هناك سكين كبير براق بدا لي مغريا ، ثم عدلت عن حمله .. هكذا يبدو الأمر بالبيرقوب .. ثم يستحيل على اقناع البوليس بقصصي .. ترى هل ستتراجع تنفيذ عقوبة الإعدام ؟

لا داعي للسلاح .. إنه يغري بالتهور والحلول العنيفة .. بينما أن فعلا سبب في خطر ملموس

ثمة كعكة اقتطع ربعها على (رخامة) المطبخ ، وثمة طبق به بعض قطع اللحم التي بقيت من وجبة ما .. والثلاجة تدر كعادتها .. لكن لا يوجد بشر هنا ..

هو ذا الباب .. أمد يدي إلى مقبضه وأديره .. لكنه لا يدور .. أرجه رجًا لا يستجيب

إنهم لم ينسوا شيئًا إذن ..

لكن الأمر لم ينته بعد ..

الهاتف ؟ ربما لو ..

ثم سمعت صوت ([illegible]) يقول

ـ « لا تتعب نفسك يا بروفسور .. لقد تأكدنا من كل الاحتمالات ، وراقبنا كل شيء »

* * *

كانت واقفة عند باب المطبخ وقد استندت بظهرها إليه .. في وضع (بروفيل) كان يمكن أن يكون فاتنا في ظروف أخرى .. ولم تكن تنظر لي على الإطلاق ..

وواصلت كلامها وأنا أرمقها في عجب :

ـ « لقد أنذرتك لكنك ركبت رأسك .. والآن يجب أن تبقى معنا ! »

قلت مرتبكًا :

ـ « عم تتكلمين ؟ إن العشرين من الشهر لم يأت بعد ؟ »

ـ « الاستعداد يبدأ من التاسع عشر .. »

ثم نظرت إلي وقالت في حزم

- « الآن عد لغرفتك أرجوك .. ولا تضطرني إلى استدعاء (جيسون) » .

لا .. ليس (جيسون) أرجوك ..

سأكون طفلاً مهذبًا ..

سأعود إلى غرفتي ..

* * *

٧ ـ علامات لها مغزاها ..

وماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

* * *

وفي حجرتي تمددت على الفراش أرمق السقف .. والأفكار تدور في ذهني كما يحدث في الأفلام السينمائية ..

« يجب أن تقبض على سيدتي .. يجب »

« لن تضحك الآن تقبلي .. هذا شيء لا مزاح فيه »

« (سيد ...) .. هل هذا أنت ؟ »

« كيف يعرف هذا كل هذا عني ؟ »

« لا أحد يريدك هنا أيها الشاب »

« مستر (باتكروووووفت) »

طيف تعبث الأفكار تدور العناكب اللاتي فرشن لي

فراشه به يعلى فراشي ويتشبث ، كما يقول عنه
(النابغة الذبياني) وهي صورة رائعة بجعل
تحول الفراش في أرض معشبة كلها ورد وتخبيص .
حتى صار من المستحيل ان أتظاهر بالاسترخاء

نهضت من الفراش ، وبحذر فتحت باب الحجرة

لم يكن من أحد هناك ..

مشيت في الممر لتأمل للغرفات على الجانبين
كانت بعض الابواب مفتوحة وقد صار جليا من
الحقائب الموضوعة او التي بعثرت محتوياتها ، ان
كل واحد من الضيوف اتخذ غرفة لنفسه انهم
يحتاجون الى خمس غرف وربما اتخذت الفتاة
غرفة سوم مسز (بانكروفت) ، وربما ... الاخ
(جيمسون) في الحمام ..

الفضول قبل العطل لا ارى معادا يعود هذا المنزل
الى ذاكرتي اكثر من مرة هذه الايام

لم يكن هناك خطر ما وبدا انه ما من احد يراني
أو يشعر بي فهم يعملون بثقة شديدة في العمل

بيوت من أقرب غرفة وكانت مفتوحة ، وبحذر
خطوت ثلاث أو أربع خطوات لأجد نفسي في وسطها
جوار الفراش ..

توجد حقيبة مفتوحة جوار الفراش ، وقد فرغت
من نصف ما كان بها من اتواضح أن هذه حجرة
رجل لا امرأة وهي مهندمة لا توحي بأن خبيرا
سكنها ابي - بالاستبعاد - هي حجرة الرجل الوقور
أول من جاء يطلب السكنى

بيد باردة كالثلج رحت أقلب محتويات الحقيبة
لا شيء .. لا حقيبة رجل مسافر قمصان ثم كيف
بعض العطور ... آلة حلاقة كهربية

اتجهت الى خزانة الثياب الجدارية افتحها ، ولم
يكن بها سوى بنطلين معلقين وبضع قبعات

عم تبحث يا (رفعت) ؟ هل تتوقع ان تجد دمية
غرست فيها الدبابيس او رءوس (تماثيل) منكمشة
او نجمة خماسية مرسومة على الأرض ؟ لا يبدو ان
الرجل من (أهل ذلك) ، وحتى إن كان من (أهل
ذلك) فلن يصنع هذا في غرفة مفتوحة



كلا .. لم يكن هذا حجرًا كما أعرفه .. والأغرب أنني حين
لمستها شعرت بأنها فقدت الكثير من بريقها

اتجهت إلى الكومود بجوار الفراش وفتحته
أصابتني دهشة عارمة لأنني وجدت في الدرج قلادة
قلادة غريبة الشكل لم أر مثلها قط .. كانت لدي
صورة فوتوغرافية لها يا (ريم) لكني أصعقت بعد
كل هذه السنوات .. لا أعرف كيف أقرب وصفها لك
كانت تشبه بقعة من الدم المتجمد اللامع البراق
كلا .. لم يكن هذا حجرا كريما أعرفه .. والأغرب
أنني حين لمستها شعرت بأنها فقدت الكثير من
بريقها .. ربما كان هذا وهما

وربما لم يكن ..

وأنت تعرفين لصوصي يا (ريم) .. ببساطة دسست
القلادة في جيبي لأدرسها فيما بعد

حين وقت الرحيل الآن ..

لقد كنت سعيد الحظ حتى هذه اللحظة، لكن موقفي
سيكون عسيرا في القصر لو عاد الرجل الآن

لكن قدمي لم تطاوعاني ..

ركعت بجوار الفراش، ونظرت تحته لأرى

من هنالك .. لم يكن ثمة تحية، لكني وجدت أداة
غريبة الشكل .. هذه لدي صورتها ويمكنك أن تريها
متى أردت .. إنها تشبه قلمًا طويلًا من الأبنوس،
لكنها ليست كذلك ..

وكالعادة دسستها في جيبي ..

لأن صبر الرحمن ضروريًا، وهذه المرة ستتهمني
مطلقًا ..

* * *

كانت غرفة أخرى مفتوحة .. ومن جديد عاد الصراع
بين الواجب والعاطفة كما في أفلام (يوجو مورلحي)
القديمة .. الصوت في مؤخرة عقلي يصرخ: بحقك
عليك! كف عن هذا اللعب بالنار! أنت الذي لم
تستطع أبدًا فهم لماذا تنزل بطلة الفيلم الحمقاء سلمًا
إلى القبو المظلم بمواجهة مصاصي الدماء

فيجيب الصوت الآخر في مقدمة رأسي: إن سمة
واحدة لا تكفي لتحديد اتجاه الرياح، ونقطة واحدة
لا تسمح برسم خط ..

لابد من غرفة واحدة أخرى على الأقل!

وهكذا أدخل الغرفة .. وأدرك من الجو الأنثوي
الناعم فيها أنها غرفة الزوجة الحسناء (ساندرا)
لا يقيم هنا .. ومن الواضح أن الزوجين يقيمان
منفصلين ..

كان أول ما فعلت هو أن جثوت لأنظر تحت الفراش،
وبالفعل وجدت القلم الأبنوسي إياه .. هذه علامة
مهمة لي .. وإن لم أعرف أهميتها بالنسبة لهم

فتحت درج الكومود بحثًا عن الفلاش .. فلم أجده ..
فتشت الحجرة فلم أجد شيئًا غريبًا .. هذا خدر سيدة
لا أكثر ولا أقل .. وإن لاحظت أن الفرشتين كانتا
مستقيمتين أكثر من اللازم والأسرة مرتبة بعناية،
كأنما لم ينم فيها أحد ..

أما وقد اكتفيت، فقد فررت من المكان فرارًا،
ولم أجرؤ على تجربة حجرة ثالثة .. فقد صبر الحظ
علي طويلًا وكان متحملًا، لكنه لن يظل يحتملني إلى
الأبد ..

وكنت على حق ، لأنني ما إن دخلت حجرتي حتى سمعت
صوت أحدهم يصعد في الدرج .. ولو تأخرت ثانية
لرآني ..

حمداً لله !

* * *

في غرفتي أغلقت الباب بـ (ريم) .. ثم جلست
على المنضدة أتأمل الأثرين العجيبين اللذين ظفرت
بهما .. ثم أخرجت الكاميرا ورحت أرقبهما بعدسة مكبرة ،
والتقطت بعض الصور ..

القلادة لم تكن بها صفة خاصة .. لم تكن ثمة
كتابة على ظهرها ولا علامة تدل على من صنعت
لكني لاحظت لها خاصية غريبة هي - كما قلت - أنها
تتوهج حين أتركها وتنطفئ حين ألمسها .. وعلى
سبيل التجربة وضعتها حول عنقي .. ونظرت منظري
في المرآة .. أبدو غريباً بحق ..

أما الأداة التي تشبه عصا أبنوسية ، فكانت ثقيلة

الوزن .. ويبدو أنها من معدن لا أعرفه .. معدن
له ملمس خشب الأبنوس .. وقد رحت أديرها بين
أناملي بحثاً عن شيء قابل للفتح فلم أجد

هنا خطر لي أن أحتفظ بالقلادة تحت قميصي ،
وأداري العصا في جيبي .. ثمة شعور يقول لي إن
هذه الأشياء مفيدة ..

والآن ماذا أفعل ؟

يمكنني محاولة الهبوط من نافذة حجرتي .. لكني
لا أملك هذا القدر من الرشاقة ، وفي الغالب سأدق
عنقي .. في السينما يربطون ملاءات السرير على
شكل حبل يتدلون به ، ولم أفهم قط من أين يأتون
بكل هذا العدد من الملاءات ؟

الهاتف ؟

سيسمح بهذه البلاهة ، لكن بوسعي أن أجرب

وهكذا يا (ريم) يهبط الكهل النشيط (رفعت)

إلى الطابق الأرضي ، ويتجه إلى الهاتف ... بين
دهبو ؟ مستحيل أن يكونوا قد غادروا المبنى ... وقد
عرفت من هناك على الأقل واحداً في غرفته الآن

لكن ... سأجرب حتى أسمع صوت من يمنعني
بعدم المحاولة أكثر ..

هذا هو الهاتف ... كتلة من الأعراء البلاستيكي
الصارخ ... يغريني بالخروج من هنا ... ربما يغريني
بمصير أيضاً ..

ورفعت السماعة

كلا ... لم يكن ميتاً ... لكنه كان يصدر أصواتاً
غريبة ... كأن أناساً يتكلمون بلا انقطاع ودون أن
يسمع أحدهم الآخر . وبأغرب لغة يمكن سماعها
لغة فيها الكثير من حروف العلة ... والتي لو
كانت هناك هي الحرف التاسع والعشرون والثلاثون
في الأبجدية ... ولكن أية أبجدية هذه ؟

ضغطت على الزر مراراً على الصوت ... تنتهي
لكن بلا جدوى ... صحت (هللو) عدة مرات ، لكن
أحداً لم يسمعني .

وضعت السماعة في قنوط ... لا بأس ... لست
بالسذاجة كي أتوقع أن تتم المهمة بهذه البساطة

* * *

كان الصوت مستمراً ... لكنه أكثر وهناً

قمت بهدوء ... وفطنت إلى أنه ... من القبو

قبو المبنى رقم (٩) ، وقد حسبته مرتين لأسمع
مصدر (ميكروفون) إلى شيء ما ... كان قبواً عادياً
به بعض الحقائب الفارغة ، وكثير من المهملات على
عربة (جرامافون) قديم ، ومكنسة للتفصيل ،
وجرائد لا حصر لها .

لكن الصوت كان آتياً من هناك

وفطنت - في دهشة - إلى أنه ذات الصوت الذي
سمعته من الهاتف ... كما فطنت إلى أن الشعر على
ساعدي قد انتصب ، كما يحدث للمرء لحظة الذي
يمسكه حتى تملأه الكهربية الإستاتيكية

هذا المكان مشحون بالإستاتيكية ، ولابد أن هناك

مجالا مغناطيسيًا لا بأس به ، لأن رأسي يطن وشعر بأنني موشك على القيء .. نفس الشعور الذي شعرت به حين مررت بتجربة أشعة الرنين المغناطيسي (*) منذ أعوام .. أنت تعرفين هذه القصة يا (ريم) .. وهي سر بيننا كما اتفقنا

ماذا يفعل هؤلاء القوم تحت ؟

يمكنني أن أذهب لأرى ، لكني غالبًا لن أعود ..

هؤلاء القوم ليسوا على ما يرام ، وليسوا ملائكة ..

أعرف هذا .. أشعر به ..

* * *

(*) MRI

٨ - أنت دخيل !

وماذا المنزل رقم (٢) بالذات ؟

* * *

سؤال سخيف بلا معنى طبعًا .. لو كان المنزل يحمل رقم (٥) أو رقم (٦) لبدا الأمر غريبًا بنفس القدر .. يجب أن يكون السؤال هو : ماذا يحدث هنا ؟!

* * *

عند منتصف الليل سمعت قرعًا على بابي وسمعت (سلتر) تقول في همس :

- « د. (رفعت) .. هل أنت نائم ؟ »

- « وكيف أكون ؟ »

- « لابد أن أنتظرك .. نحن بحاجة إليك في قاعة الجلوس من أجل موضوع مهم »

نهضت من الفراش ، وارتديت ثيابا مناسبة ، ووضعت ذات السترة التي تحوي كوبري على كتفي ثم خرجت لها ..

كانت شخصية مرهقة ، ترتدي ثوبا بسيطا مجعدا وقلت لها ولن أنس أن [illegible] الأمر في الكم

— « هل حان الوقت ؟ هل ستقتادونني إلى الغرفة الخلفية لإنهاء الأمر ؟ »

لم يبد عليها الفهم ولا الاستعداد للمزاح بسبب الإرهاق الشديد وقطبت وجهها بما معناه (عم تتحدث بالضبط ؟) . فقلت :

— « عنيت أن الوقت قد حان لتفجير رأسي . »

قالت في فتور :

— « دعك من السخف والبغي . »

مشيت وراءها متوجسا ، حتى وصلنا إلى الطابق السفلي حيث بقيت قاعة الجلوس ، وكان الجميع هناك .. أسرة كبيرة واحدة سعيدة كما يقول الأمريكان .. كان دخان التبغ متجمدا في الهواء ، بينما

كان الميجور يقف وسط القاعة ويداه مشتبكتان خلف ظهره كأنه [illegible] يراقب معركة (ووترلو) [illegible] الزوجين لجسد متحققي الكفين يرمقاني في اهتمام ..

قال الميجور :

— « [illegible] لن تجد عمرا في تصديق أنك [illegible] وعينك قد ثبتت للعكس ؟ »

كان هذا آخر ما توقعت سماعه .. توقعت طلقة مسدس في رأسي أو أن يقيدوني ويصعدوا بي في قبو [illegible] كي أكون عشاءهم .. كل شيء إلا هذا

قلت في غطرسة :

— « [illegible] أبهت من لم أر عمه قط ؟ »

صاح الزوج الوسيم في المصمم

— « هذا هو ما قلته مرارا .. ليس هو [illegible] .. يجب الخلاص منه الآن ؟ »

قال (جيمسون) الذي جلس أمام المدفأة كثور المسك ، وهو يداعب عضلات صدره المحببة

- « لكنني أظن أنه هو .. »

وقال الميجور وهو يعتصر شاربه

- « أنا أيضا أحسبه هو .. »

- « كلكم مخطئ ! »

فالتفت الفتاة في حنق .. وزحفت تدور حولي كتف سوى شيء سميرة ، وقالت

- « ليس هو .. لابد أن العمى أصابكم .. »

هنا فقط دق جرس في ذاكرتي

* * *

« (ميدا) .. هل هذا أنت ؟ »

* * *

لقد كان من الواضح أكثر من مرة أن شكلي أصابهم بنوع من الارتباك .. الزوجان شككا بصددي .. و (جيمسون) حسبني من يدعي (ميدا) لكنه لم يستطع التأكد

إن لي شكلا عجيبا يذكر كل الناس بشيء ما .

وذات مرة رأى (كولني) الساحر اليهودي أنني شبيه , فتجاسر أن يعرفني .. بينما رأى (جيمسون) أنني (ميدا) ..

هل أزعم أنني (ميدا) هذا ؟ لا فرصة لدي لأنني لا أعرف حرفا عنه .. ولا أعرف إن كان شيطانا أم قديسا .

قال الميجور بلهجة حكيمة

- « تذكروا النبوءة .. كلهم يعود حتى لو نسي أنه منكم .. ربما كان هذا هو (ميدا) وهو لا يعرف ذلك »

قال (جيمسون) وهو يكور قبضته

- « إن نداء المرتل أقوى من .. لا أدري .. إنه يلعب دور الغريزة التي تحكم هجرة الطيور »

هنا صاح الرجل الوقور نافد الصبر

- « كفى سخفا ! إن ما الذي يدلنا على أنه هو وليس مجرد عابر سبيل ؟ لا تتركوا الأمور عائمة في هذا الخط .. »



اتجه نحوي دون استئذان .. ومد كفيه ليمزق صدر القميص .. ثم مد يده في جيب سترتي

قال (جيسون) في ثبات:

- «الأمر سهل .. من كون هذا هو (ميتا) - حتى لو نسي أنه منكم - فسوف يكون معه سلاح أرضي، ولسوف يحمل العلامة .. هكذا تقول النبوءة»

واتجه نحوي دون استئذان .. ومد كفيه ليمزق صدر القميص .. ثم مد يده في جيب سترتي .. وأطلق صرخة النصر .. ولوح بالأداة المعدنية اللامعة

- «آهاه! إنه هو!»

وعلى الفور تصلبت العيون على وجهي، وتسمرت الأنفاس .. شعرت في الوجوه المتسائلة ونية .. حتى (ساندرا) الشيطانية لم تمنك نفسها من الانبهار، وراح صدرها يعلو ويهبط انفعالا

* * *

كان عقلي يعمل بسرعة دوران إلكترونات حول نواة الذرة .. ورسمت على وجهي علامات البلاهة والارتباك .. لا بأس .. فهم يتوقعون هذا

لقد لعبت الأقدار لعبة غير عادية معي .. والشيئين اللذان قمت بسرقتهما هما الدليل الوحيد على أنني منهم ..

فهم حمقى بشكوكهم في (سندرا) والرجل الوقور كان أذكى منهم . وكان محقاً في شكوكهما .. لكنهما انصرفا الآن إلى معسكر الموسس بأنس (ميدا)

حظ حسن .. لكن هل يستمر ؟

* * *

قال الجمهور في رضا :

- « ونحن كنا نفتشه بين الحدائق نحميه حتى النهاية .. لقد فر من سفيرة (كالا) ، وتم تصفيته برصاصات (مور) كي نستقبل لها »

قال (جيمسون) بلهجة من لا يريد أن يبتعد الشهود عن الموضوع الرئيسي :

- « بهذه المناسبة ، أقترح أن يجيء كل واحد منا بقلادته وسلاح (في) الخاص به .. نحن نعرف

بعضنا .. لكن لا نريد أن يندس أحد .. إن الثقة غير مطلوبة في هذه الأمور .. »

وافق الجميع متحمسين للفكرة ، وبعد ثوانٍ وجدت نفسي أقف وحيدة في القاعة لا أعرف ما أفعله بنفسي .. وأحاول أن أضم القميص الممزق إلى صدري ..

بعد دقيقة عاد الجميع .. وراح كل منهم يتقدم إلى الأمام ، ويلوح بشيء ..

- « أنا الضابطة (أور) .. هذه هي قلادتي وهذا هو سلاح (في) .. فلتكتمس نور [illegible] الجاكون الأعظم .. »

- « أنا الضابط (مور) .. هذه هي قلادتي وهذا هو سلاح (في) .. فلتكتمس نورك فيها الجاكون الأعظم »

- « أنا الكومندر (شير) .. هذه هي [illegible] »

حتى جاء دور الرجل الوقور .. الذي لم يكن يمسك هذه الأشياء .. تقدم للأمام ، ووجهه شاحب كالموتى وقال

- « لكن ... لم أجد القلادة ولا ... لا أفهم »

نظر الجميع إليه في شك، وهتف (جيبسون)
كالثيران لو أن هذه تهتف:

- « ألا ترى بعض الغرابة في هذا ؟ »

صاح الوفور موشك على البكاء:

- « أقسم إنني لا أدري كيف ... كنت في غرفتي
ثم ... »

ثم نظر إلى في هستيريا، وأشار بإصبع ترتجف

- « هذا ... هذا هو من سرقها »

قالت (ساندرا) - التي اتضح أنها الصديقة
(أورا) - في تحد:

- « لا أحد يعرف القلادة ... لم يكن ... لا أستطيع
أن نقول إنه لم يكن سيئ من البداية »

- « لقد سرقها مني ... الكومبر (فور) ... كلكم
يعرفني ! »

- « كنت كنت تعرف (ميدا) ... هو قد أثبت
شخصيته، فماذا تفعل أنت ؟ »

صاح (جيبسون) - الذي اتضح أنه الضابط
(مور) - وهو يعتصر سلاحه

- « يكفي مرحًا ... لو كنت أنت (فور) وفقدت
سلاحك، فمن الحري بك ... »

ولم أفهم ما حدث ..

ثم الهمهمة حتى وجدت الدم يسيل من عيني الوفور
وفمه وأذنيه ... ثم بدأت فقاقيع تحتشد تحت جلده
وتنفجر ... وهنا فقط فهمت ... هذا الرجل يذوب
بالمعنى الحرفي للكلمة ..

الرجل الذي كان الكومبر (فور) يذوب ... يذوب
... الوحيد الذي يعرف أنه كان صادقًا

رحت أرتجف كورقة ولك أن أرمق ... كان ينتظرني،
لو لم ... بالقلادة معي ... حمدًا لله !

أخيرًا صارت سجادة القاعة ملوثة ببقعة لزجة هي
خليط من دم ودهن وعظام كالشمع لا ندري ما هي

قال الميجور كأنما لم يحدث شيء:

ـ « نحيي ! لقد تحدثت النبوءة عنهم كثيرا ومنهم تحلاء نيموا من بينكم ، لكنكم تتحدثون فيهم ، حتى الموعد . »

الحقيقة أن النبوءة صادقة جدا .. لكن الاختلاف كان بالنسبة للشخص المعني .. والذي مضى يظل سري ...

يا له من مأزق !

* * *

٩ ـ أنت منا !

وبماذا المعرض رقم (٩) بالذات ؟

* * *

ووضعت قرص النتروجلسرين الصغير تحت لساني وانتظرت حتى يزول الصداع والدوار ثم بصقته .. أنت تعرضين حياتك للخطر (ربما) .. لقد كان بالضعف ذاته في هذا الوقت .. لم يكن قط مسيطرا على قدر ما أتذكر .

لم يلحظ أحدهم ما فعلت ، وقال الميجور في مودة :

ـ « أنت منا يا ... حتى لو لم تعرف هذا ! »

وقال ... وهو يعود للأريكة :

ـ « ما كان قدومك إلى هذا المعرض بالذات صدفة . لقد كان نداء خفيا لم تسمع أحدا مثله ، كالذي يهدي الطيور المهاجرة إلى اتجاهها ، أو كالذي

يحرك ابرة البوصلة .. ولأسباب مماثلة قبلت العجوز صداقتك برغم أنها رفضت الكثيرين .. كنت أنت أول من يثير النداء .. ومن سخرية القدر أنك كنت الوحيد الذي نسي أنه ..

قالت (ساندرا) في حنان :

- « لكنه سيتذكر .. من الآن يبقى معك قليلا سيتذكر .. »

كانوا حمقى .. ولو كنت زعيمهم لأمرت برميهم بالرصاص .. فهذا خطأ فادح لا يتكرر كثيرا .. لكنه من حسن حظي .. ولولاه لكنت بقعة دهن تلوث السجادة .. إلى أن يجد المصلة مستحضرا مناسبا لإزالتي .. قلت لهم بصوت مبحوح :

- « بعد هذا كله .. هل تسمحون لي بالاعتكاف في حجرتي ؟ »

قال الميجور في مرح ، وهو يتحسس شاربه الكث :

- « طبعا .. لكن تذكر أن موعدنا غدا منتصف الليل .. أي بعد أقل من أربع وعشرين ساعة

ستجتمع هنا في العاشرة صباحا كي نحدد كل من تفاصيل (الإكلوس) .. »

هززت رأسي .. ووضعت القميص الممزق على صدري العظمي . وصعدت في الدرج محاولا أن أبدو أكثر .. لا .. لا داعي للتظاهر بأنني طبيعي .. فهم جميعا يعرفون أن أكون مرتبكا

سيناقشون تفاصيل (الإكلوس) في العاشرة صباحا .. يجب أن أكون هناك .. ولتمني أن يكون صباحي مثيرا .. كذلك لكوني لا أعرف كنه هذا (الإكلوس) ..

* * *

من هم ؟

كل شيء يوحي بأنهم جماعة سرية .. أو كائنات لا أعرف كنهها .. ومن الواضح أن اليوم العشرين من مارس - الذي بدأ منذ ساعتين - يمثل أهمية عظمى لهم .. دينية أو وطنية .. ويبدو أنهم مكلفون بالاحتشاد هنا من بقاع الأرض في هذا

اليوم بالذات ، وهي مهمة يمكن ان يقتلو من اجلها

يمكنني كذلك القول إنهم لا يحبون بعضهم كثيراً ، ولا يهم الواحد منهم أن يساعد الآخرين على الوصول هنا .. لقد بدا واضحاً ان الميجور لم يكن متحمساً لتحول الرجل الوقور المترل .. كما ان الزوجين أنكرا العجوز من احدهم حين عرضا عليهما صورة فوتوغرافية له ..

من أين جاءوا ؟

للأسف لا يوجد سوى بجذبة واحدة .. القلادة الغريبة والسلاح المصنوع من معدن لا وجود له على الأرض .. كلها أشياء ليس لها الا معنى واحد .. هؤلاء غرباء .. هؤلاء ليسوا من عالمنا .. ربما ليسوا من أرضنا او ليسوا من مجرتنا كذلك

ورحت أتفحص سلاح (فى) الذى تكلموا عنه .. ربما صنع نوع من سلاح على نفسي .. كما قلت .. هو غير مزود بأى زناد او شيء يفتح ويغلق .. لقد رأيت (جيمسون) يضغط عليه لكن شيئاً لم يخرج منه .. هل هذا كل شيء ؟ هل أشعته غير مرئية ؟ ام أن هناك أسلوب ما لا أفهمه ؟

أمسكته واعتصرته بقوة ..

هنا شعرت كأن ناراً تلتهب في جسمي كله ، وكأن سيخاً محمياً انغرس في احشائي وراح يعبث هنا وهناك ..

كان الألم مفزعاً إلى حد أنني تخليت عن حمل السلاح ، وعلى الفور عادت الأمور تستقر

ما معنى هذا ؟

لِمَ لم يؤثر السلاح في (جيمسون) ، ولم يؤثر في حين جربته اول مرة ؟ .. السبب أنني نزعت القلادة عن عنقي الآن .. وهذه القلادة كما هو واضح تلعب دور الدرع الواقية من سلاح (فى) الرجل الوقور لم يكن يرتديها حين ذاب .. بينما كانوا جميعاً يضعونها حول اعناقهم .. هذه القلادة تلعب بمثابة قدرة لمن .. من لا يضعها حول عنقه ليس معنا ومن ليس معنا جزاؤه الموت

الدرس الأهم الذي تعلمته الآن هو ألا أنزع هذه القلادة عن عنقي أبدًا .. الدرس الثاني هو : إذا أردت قتل هؤلاء القوم فعليك بنزع قلاداتهم .. وهو كلام نظري سهل .. إذ كيف ينزع المرء القلادة من حول عنق (جيمسون) العملاق ؟ هذا إن كان به عنق أصلًا ..

لقد كان الرجل الوقور مهملًا بحق .. وأحسبه قد استحق الموت بلا شك ..

طرقات على الباب .. طرقة سكون (ساندرا)

* * *

- « ادخل ! »

انفتح الباب وظهرت وهي تبتسم في صفاء ..

- « أراك لم تمت بـ (عبده) ؟ »

- « كما ترين .. »

كنت أرتدي منامتي .. وشعرت بخجل شديد لأنه ما من أنثى غير المرحومة أمي رأتني في هذا المظهر .. لكنها لم تحجم .. وقفت في منتصف الغرفة وعقدت كفيها على ركبتيها .. وقالت :

- « كنت أتساءل .. كيف شككت في أمرك لحظة ؟ الحق أنني أذكرك بهي طلعة وأرق حاشية .. »

لم أجد مفرًا من السخرية أبدًا .. حتى مع هذه المرأة الفصامية ذات العينين المتلونتين .. قلت لها في مرارة :

- « إن للحياة تصاريفها .. »

- « وكنت أسأل نفسي .. كيف لم يعرفك قلبي ؟ »

« ...... إنها قصة حب إذن .. وهذه الفتاة مغرمة بالأخ (عبده) .. لكنها لا تعرف كم كان قلبها صادقًا ولكن موقفها غريب بحق .. فأنت - بلا فخر - أقبح الموجودين هنا .. ربما أسوأ من العجوز و (جيمسون) بمراحل ..

هل أجابت الفتاة عن السؤال ..

- « صحيح أنك حررت لنفسك أقبح الأقنعة وزعمت أن هذا بغرض التمويه .. لكني أنكر أن قناعك كان يجمل من هذا بكثير .. »

- « لا بأس سنعمل على إصلاحه ! »

- « لا داعي .. لأنك ستتحرر منه اليوم إلى الأبد »

مفهوم .. مفهوم .. لكن هناك سؤالاً مهماً .. لماذا يتكلم هؤلاء القوم اللغة (الإسرائيلية) حتى فيما بينهم ؟ المفترض أن يعودوا إلى طبيعتهم ويتكلموا بلغتهم .. لغتهم الشبيهة بما سمعت من الهاتف منذ ساعات ..

قلت لها في جرأة :

- « لماذا تتكلمين الإنجليزية ؟ »

ابتسمت عيناها بدهشة ، وقالت :

- « عسى ألا يكون بسبب هذا تعجب .. إن قسم الجاسوس الأعظم يرغمنا على التكلم فيما بيننا بالإنجليزية ، تحت طائلة الموت .. لا يجب أن يبدر منا خطأ يثير الشكوك »

ثم أردفت باسمة :

- « بالطبع لم تنس لغتنا .. »

بديبلوماسية قلت :

- « ست وقت .. سأعرف هذه في نهاية اليوم .. »

ثم إن وجهها تبدل ليكتسب رقة مزعجة أثارت القلق في صدري .. هذه الفتاة تحب (ميدا) بحق وتكون هذه هي النقطة التي تخرب بيتي

قلت وهي تحتفظ برقة الابتسامة

- « ألم أزر أحلامك طيلة هذه الأعوام ؟ »

ابتسمت في خبث .. كما يليق بـ (ميدا) أن يفعل وقلت :

- « كثيراً .. لكني لم أكن أعرف أن لك وجوداً حقيقياً .. »

دنت مني أكثر ، وقالت وهي تتحسس ملامحي

- « بالسرعة .. لكم تبلى هذه الأقنعة بسرعة ! لا أفكر أن الوجه الذي تحته كي يحمي هذه التجاعيد .. »

- « إنها عوامل التعرية .. الشمس والهواء .. هذه الأشياء تحدث .. »

مدت الكأس وأراحت رأسها على كتفي ، وقالت

- « عندما أفكر في أنني قتلت (ميدا) ومن أعرفه ... أوشك على قتل نفسي ... »

كنت في أسوأ حال ممكن ... فقد كانت لشعرها رائحة غريبة كيماوية أثارت الرعب في عروقي ، ثم إن وضعها هذا جعلني أنسى لاكتشاف حقيقتي دعك من أنني لست من ممه المصدر بحيث أترك نفسي كأن قصلتي غريب يستريح على كتفي .

وهمستُ قلتُ :

- « تذكر جيداً ... تذكر ... الليلة التي شربت فيها نخب النصر (فراما) المسبقة وقطعت لي أوراق (الوسكين) ... أو حين صارعت (البورك) من أجلي ، وقتلت ... (هليرا) في الجزيرة المقدسة

« كنت أنت أشجع الفرسان ، وكنت لي وحدي ... واليوم ألقاك هنا فلا أعرفك ولا تعرفني ... بل إنني أتدرك من البقاء في البيت حتى العشرين من عمري ... تصوّر هذا ! »

ضحكت بعض أنني أضحك سخرية ، ولم أقل شيئاً ، فعادت هي بنفس النبرة الحالمة

- « هل تذكر مجلس جلكون الأعظم ؟ لقد صممت على أن أكون معك ، حتى إذا ما لامست دراتها اختلطت لتطاردني معه للأبد ... وعندها نصير نجمين من نجوم (آرك) الخالدة التي كنا نرمقها معاً ... »

الغريب أن كلامها جعلني أشعر بدوار حقيقي

لم لا يكون كلامها صحيحاً وأكون أنا واحداً منهم ؟ لم لا تكون حياتي كلها كانت وهماً ... مجرد قناع أستتر وراءه بينما أنا (ميدا) الذي لا يقهر ؟

ورفعت عينيها المتقوستين نحوي ، وهمست

- « هل ترى عيني ؟ هل تذكرهما ؟ كنت تحبهما كثيراً ، وقلت لا أنسى من عشا إذ كنت تذكر ؟ »

الخدر يتسلل إلى جسدي بعنف ، وأشعر بأن أبخرة من العطر تحيط بي وتحملني إلى آفاق لم يرها بشر

هل أنا هو أم حلم ؟ ما الذي يثبت هذا ؟ ربما أنا هو (هو) ؟

ابتعدت عنى قليلا - وفى دلال همست

- « سأريك شيئا جميلا .. اصبر لحظة .. اغلق عينيك حتى لا ترى .. »

اغمضت عينى وأنا أتساءل عن الكارثة القادمة لسول المحرج الذى سيجعلها تشك فى أمرى ..

صاحت فى حماس بعد هنيهة

- « والآن افتح عينيك ! »

* * *

فتحت عينى فى توجس لأرمقها

ثمة شيء غريب فى وجهها أثار قلقى .. ثم أثار هلعى حين تبينته .. لقد انتزعت عينيها ! نعم لا مزاح هناك ! لقد انتزعت كرتى عينيها من المحجرين بما يحيط بهما من جفنين و[illegible] .. التجويف كان ظلام دامس يتحرك فيه ضوء أحمر شرير يفتش هنا وهناك !

وفى يديها كانت كرتا العينين .. وأدركت على الفور أنهما صناعيتان .. وأن الجفنين من مادة كاللدائن



قالت وهي تحدق في وجهي بفجوتيها المحجوبتين

- « الآن يمكنك أن تتذكر عيني من دون هذا القناع البشع ! »

ثم بدلال أضافت :

- « هل أنت سعيد ؟ ليس من السهل أن أعيد كل شيء إلى موضعه لأن علي أن أداري كل هذا بالمساحيق وكريم الأساس لكنك تستحق هذه المجاملة ! »

فتاة بلا عينين تقف على بعد متر مني وتكلمني باسم (ريم) ..

هذا ليس حقيقيًا .. إنه كابوس

الآن صار قلبي يعمل بمراجل العناس ، وصار له إيقاع محبب يذكرك بمواويل (عبد المطلب) وبدأت بقعة سوداء محاطة بحواف صفراء تظهر في مجال إبصاري .. إنه الإغماء .. ولا ريب

لكن .. يجب .. أن .. أقاوم ..

وسمعت الفتاة من مكان ما تقول :

- « والآن عليك أن ترد لي المجاملة ، وتنتزع هاتين العينين البشريتين من محجريهما من أجلي أنا ! »

* * *

١٠ ـ الحقيقة كلها (تقريباً) ..

بدأت أترنح ... حتى كنت الآن جاهدة كي أظل على قدمي ... ينبعث صوتها من وراء الضباب يهتف

ـ « رشيد ! ماذا دهاك يا حبيبي ؟ »

وهويت في هوة سوداء لا ينيرها إلا ضوء أحمر شرير جشع يتحرك بلا هوادة في كل صوب

وبرغم حلوليه لم أدر كم عدد ... انتزعت نفسي ثانية ... لا أريد أن أفقد الوعي وأتركها تتحسس وجهي ... لتدرك أنه وجه حقيقي وليس قناعاً ... لن أتركها تحاول بأظفارها انتزاع عيني

تماسكت على نفسي وهمست

ـ « نعم ... نعم ... أتذكر عينيك ... لكن هذا أجمل من أن يكون حقيقياً ... أشعر بدوار »

بحنان سألتني :

ـ « هل تريد أن أتركك الآن ؟ »

ـ « نعم ... نعم ... بعض النوم قد يعيدني »

ـ « وفي الصباح ستريني وجهك الجميل ؟ »

ـ « بالتأكيد .. بالتأكيد .. »

ولا أدري متى خرجت وانطفأ النور ، تاركة إياي وحدي على الفرش في الظلام . أعدو و أهبط

أمشي تحت أمطار (فراب) السبعة ... أصارع (نيويورك) ثم أعدو تحت من نجوم (أركا) الحاقدة ، رمزاً للحب الذي لا يموت ..

من يدري ؟ ربما التقطت بعض الأوراق ، الروكيل ! أيضاً ... إن كل شيء صار ممكناً في هذه الأيام ...

سترى وجهي الجميل صباحاً ... لا بأس ... ثمة احتمال لا بأس به أن ألقى ربي في الساعات القليلة المتبقية على العاشرة صباحاً ... وعندها أكون قد استرحت وأرحت ..

* * *

في الصباح اتجهت مترنحاً إلى قاعة الجلوس ، وكان الخمسة هناك يرشفون الشاي والكعك بالزبيب الذي تصنعه مصر (بالتكروفات) لنفسها .. لا أدري لماذا لا أفكر فيها الآن إلا بصيغة (المرحومة) .. لا أعتقد أنها ماتت .. لكنها صارت بعيدة جداً الآن عن هذا العالم ..

قال الميجور بطريقته العسكرية الحاسمة :

ـ « لعلك نمت نومة طيبة أيها الشاب .. »

قلت بسخرية لم يلحظوها :

ـ « جداً .. ولكنكم لم تناقشوا مرسيات (الإكلوس) بعد ؟ »

قال وهو يمسك ببعض الأوراق :

ـ « كنا ننتظرك .. ولكن (الإكلوس) لا يمكن أن يناقش إلا بلغتنا .. فهل تستطيع المتابعة ؟ »

ـ « لا أظن .. »

ـ « لكن يمكنك أن تحضر كمستمع .. والآن بالسلطة

المخولة لي باعتباري (جود) عظيم .. فلتمتنعوا عن الكلام بالإنجليزية لمدة ربع ساعة .. فلنبدأ »

(الإكلوس) !

بعد ربع ساعة دارت مناقشة محتدمة حول (الإكلوس) بلغة غريبة يصعب علي مجرد وصف أصواتها .. كما قلت آنفاً كان هناك كثير من التجشؤ والطقطقة ، وذلك الصوت الخاص الذي كان الخواجة (بيجو) يحاول جاهداً كتابته على الورق في أحد أفلام (إسماعيل يس) الشهيرة .. لا بد أن أبجدية هؤلاء القوم تربو على الخمسين حرفاً ..

كان د. (ستيفنز) أطول باعاً في المناقشة ، وكانت قد عادت عيناه مرآتين إلى موضعهما .. حقاً لم أفهم كلمة (الإكلوس) لكني فهمت أنه مجموعة من التعليمات يكلف بها كل واحد من الموجودين وعليه أن يستظهرها وينفذها بدقة .. بل إن الموقف بدا لي كرجال الكوماندوز الملتفين حول زعيمهم ، وهو يعطيهم التعليمات الأخيرة قبل أن يتفرقوا ..

من ربع ساعة بـ (ريم) ثم صاح العجوز

ـ « كفى ! الآن نعود إلى الإنجليزية ، ولن يسمح الحظر إلا في التاسعة مساء بتوقيت الأرض »

نظرت من ... سائدرا) إلى مرح ، وقلت

ـ « بالأسف لدى كثير من الأعمال على عاتقي فلا وقت لدى كي أجعلك ... بوعيك ... تهرب مني !

قلت صادقًا :

ـ « لن هرب ... عسير أن هرب منك ... ولكن ماذا سيتم في التاسعة بالضبط ؟ »

ـ « ستعود يا حبيبي ... ستشتاق إلى الوطن ؟ »

ـ « بلى ! ... ولكن ... كيف ؟ »

ـ « تعال معي وسأشرح لك .. »

* * *

... (... ـ ... بالضبط ... أو) ـ غرفة

نومها ، ووصلت المنظر ، ثم أخرجت سلاح (في) من جيبها ... وسألتني مستوثقة

ـ « هلا لم تنس ارتداء القلادة ... حسن ! إلى رقف الجدار وستري تاريخ رحلتك ... »

فهمت على الفور أن سلاح (في) يستعمل لعدة أغراض ، كسكين الجيش السويسري بالضبط ... إنه يصلح إلاية ... كما يصلح كجهاز يسقط صور جداري ... لو كان يصلح لنسيك الأسس التي احضرت بينها قطع السحر ، فهو الإتقان ذاته

وعلى الحائط الذي صار شاشة بدأت صورة مبهمة لا أرى كنهها تتكون

لكن الفتاة لم تبد راضية عن هذا ، وراحت تضرب سلاح (في) في كفها ، وتطقطق بلسانها بما يعني أن الأمور ليست على ما يرام ... واتضح أن هذه الأجهزة تفسد ككل شيء آخر

أخيرًا وبعد جهد قالت :

ـ « لقد عطب للشحنة البيولوجية ... لكن الأمر

باختصار هو أننا جئنا هذا الكوكب عام ١٨٨٤
بسريحهم .. وقد تفرقنا ليعيش كل منا حياته
ويدرس طبائع الكائنات . على أن نلتقي ثانية بعد
عام من أعوامنا .. وبعبارة أدق .. بعد ما يقرب من
مائة عام من أعوامهم هنا .. والموعد المحدد
للرحيل هو العشرون من مارس بتوقيتهم .. هنا

« أنا جربت الكثير في مائة عام .. عشت مطعمة
ثم تزوجت وهربت إلى مدينة أخرى كي أكون طبيبة ،
وبعدما تزوجت هربت إلى بلد يدعى (المغرب) حيث
جربت أن أكون مهندسة .. ولقد تنقلت بين عشرات
المهن في عشرات البلدان

أشياء كثيرة يمكن عملها في عام واحد من
أعوامنا هنا ..

« لم أنس من أنا قط .. لكن كنت مطمئنة إلى أنني
لو نسيت ستأتي نداء خفي يدعوني إلى (سيمفني)
إلى المسرح رقم (٢) في مجيء العشرين من مارس
عام ١٩٧٣ ..

« بل النبوءة صادقة .. حتى لو نسيت ستعود ..
وحتى لو نسيت فلن أنزع القلادة أو أفقد سلاح
(ألفا) .. »

سألته وقد لاحت لي خيوط القصة كلها

ـ « لماذا أشعر أنكم لا تحملون مودة بالغة بين
بعضكم البعض ؟ »

ـ « لأن العائد سيكون بطلاً وسوف ينضم إلى
المجلس .. ونحن لا نرغب في أن يعود (جوجون)
معنا .. كما أن (الجون) لم يكن يرغب في عودة
الكومر (قور) .. ومن ثم من كل منا أمني وهناك
لم يكن هو (قور) ؛ فأنا أعتقد أن (قو) من
يستطيع اللحاق به .. وثمة أشياء أخرى لم يحدث
بنا بعد .. »

ـ « ومصير هؤلاء ؟ »

ـ « سيظلون هنا للأبد .. سيظلون طويلاً إلى أن
يموتوا بعد مائة عام من أعوامنا .. »

ـ « و عشرة آلاف عام أرضي ؟ »

- «بالضبط .. أعتقد أن الأمور صارت أوضح لك
الآن . وثق بأنك ستسترجع ذاكرتك فوراً .. بمجرد
أن تصل إلى عثمت .. وسوف تكون بطلاً هناك ..»

بالطبع سأكون بطلاً هناك .. سيضعون بقاياي
الذهبية في متحف باعتباري أول من استطاع
خداعهم للفترة لكنه فشل .

سألتها ونحن خارجين إلى الممر

- «ما هذا (الإكتوس) الذي كنتم تتكلمون عنه
؟ لقد خشيت أن أسأل ، لكني لم أعرف ..»

قالت وهي تهتز ضحكاً :

- «صحيح .. نسيت أنك لا تذكر شيئاً .. (الإكتوس)
هو مجموعة البروتوكولات الخاصة بالعودة لوطنك
إنه يشبه ما يقوم به قائد الطائرة اليوم .. حين
يجعل كلاً من مساعديه يقوم بتسميع تعليماته
المكتوبة في القائمة .. على كل منا أن يعي جيداً
ما يجب أن يعمله ، وإلا أصبحت بالنسبة .. لعلك
لم تنس أنني القائد ؟»

«أتذكر هذا على الأقل .. والآن ما هو دور كل
واحد اليوم ؟»

- «التعبو .. ولا شيء غير التعبو .. إن أمامنا
عملاً كثيراً ..»

وصفقت بيديها كما يفعل زبون المقهى منادياً
للقهوجي ، وبعثتني واتجهت إلى التعبو

* * *

كما قلت لـ (ريم) ، كان التعبو هو مجرد عملية
مهملات صحية ، واعتقد أنه لا يمكن أن يوجد به
شيء مهم من أي نوع ..

كان الجميع يعملون هناك .. ولم أفهم حقاً ماذا
يبحثون عنه بكل هذه الجرائد والعلب القديمة
الفارغة ، وربما الفئران

لكن (جونسون) - الضابط (مور) كما عرفت -
تجاهل عن أسئلتي قبل أن أطرحها .. اتجه إلى مدفأة
مركزية عتيقة هناك .. يبدو أنها كانت تدفئ المبنى
بالحطب .. في القرن الماضي .. ودون كلام
توضيحي أزاح حجراً جانباً ، ولم تكن هذه مشكلة
بالنسبة لتكوينه العضلي ، ثم انزلق عبر فتحتها

ويختفي تماماً .. فأراك مذعورين جرياً من القاعة
وهما لا يصدقان ما حدث لسلامهما العقلي

وجاء دور (المبجور) الذي حمل في يده كشافاً ،
وشيئاً يشبه حجر المسن .. فطوى ثم أرجع جسده
ليبرق إلى مدخله

جاء دور الزوجين ثم دوري .. لماذا؟ ببساطة
لأني مغامر) أردت أن أكون حريصاً متأكداً من
غلق الحاجز ..

سمعت الجسدين المحيطين بي يمر عبر القاعة ،
وعلى الفور سقطت في نفق مظلم قذر يهبط لأسفل
بزاوية شبه قائمة .. وقبل أن أصرخ أو أصاب
بالذعر أو تغشاني (الكلوستروفوبيا) ، وجدتني
ملقى على الأرض وسط قاعة واسعة

وقبل أن أحدد رد فعل جديد .. كانت (سمر) قد
سقطت فوقي .. فانسحبت جانباً وعدت أرمق المكان
من حولي ..

* * *

كان مظلماً كالقبر ..

لكن الكشاف الذي يحمله المبجور أشاع جواً لا بأس
به يسمح بتبين التفاصيل ، وعادت (جيسون) بعض
الأشياء . فانبعث نور أزرق غامض بدا أنه يأتي من
الجدار نفسه ..

كانت هناك بوابات في كل صوب .. عالم من
البوابات الخيالية التي سهمت عينها الأولى وتتكسر

همست (سمر) .. متلعثمة بدهشة

— « إن الصفاء تكون في هذه القاعة .. ومن المفهوم
أن الصخرة مسدودة .. لذا لم يحاول مخلوق أن يصنع
فيها خشب صيانة منذ عام تقريباً ، ولو حاول لوجد
أنه يختفي ! »

ورحت أنظر حولي مذعوراً .. لم أكن مذعوراً
بسبب ما رأيت ، ولكن بسبب أن كل هذا مألوف .. لقد
رأيته في موقف سابق .. ربما في طفولتي أو شبابي
ربما في أحلامي .. ودعوت الله أن أكون مخطئاً
وأن يكون هذا مجرد تكرار لظاهرة (ديجا - فو)
أو (شوهد من قبل) الشهيرة

أما ما لم يبد مألوفًا لي فهو تلك الأحواض الزجاجية المنتشرة هنا وهناك والتي تسبح فيها أجساد بشرية ! جثث آدمية مغمضة العيون تسبح في سائل شفاف . ولقد بدا كأنما تحتم بالاختلاص [illegible] كل هناك حوض به قط و حر به كلب ، وكانت هناك مجموعة زاهية بها من الحشرات

قلت لها مستظهرًا بعدم الاكتراث

ـ « لكن يجب أن نمضي [illegible] والآن و [illegible] »

ابتسمت من جديد ، وقالت :

ـ « هذه سفينة (سوج) ، لقد جئت بما استطعت الحصول عليه . وعلى كل حال ليس هذا عملًا سيئًا في عام واحد من أعوامنا . والآن كفانا ثرثرة »

تعرف سفينة (سوج) [illegible] نقلتها الأرضية واسمه ، لكن ليس هذا غريبًا ، فما أكثر ما يرى المرء ويعرفه لو عاش مائة عام من أعوامنا [illegible] كانت [illegible] ، والمجهول يعرفان كل شيء عن المجهول ومآسيه وهكذا دخلا البيت دون جهد

كان الجميع الآن منهمكين [illegible] يحتلون أوضاع البلورات . بينما [illegible] يتحرك كمن يغير وضعه [illegible] تحول كل اللون الأزرق يستحيل أحمر أو قرمزيًا ، وتحول كل الظلام بسواد . لكنهم كانوا يعرفون مايفعلون جيدًا ..

ترى هل نحلم أم أن الأرض تهتز تحتي ؟

كلبيع ! كلبيع !

وهذا الصوت المعدني ! هناك من يدق شيئًا فوقنا بل هو بالتأكيد يدق حاجز السفينة في الجو

تصلب الجميع لحظة [illegible] ونظروا لأعلى

في هذه اللحظة بالضبط جاء صوت قوي من [illegible] يصيح :

ـ « افتحوا لي ! افتح يا [illegible] »

* * *

١١ ـ اللحظات الأخيرة ..

ولماذا المدير (رقم ٤) بالذات ؟

* * *

... (جيمسون) من الفتحة التي ... وأصاخ السمع إلى الصوت الذي يردد

« المدير رقم ٤ ... »

صاح (جيمسون) من خلال الفتحة

– « (ميدا) من ؟ »

« (ميدا) رئيسكم ... في القدوم ... الآن بعد ... وبما ... عصبه ... لأنهم ... من ... لا أستطيع ... منجز المنفاة .. »

... (جيمسون) في وجهه المشعر ، ونظر ... إليه ثم التفت إلى الآخرين ... فقال المدير ... على كلمته

– « لو كان هذا هو (ميدا) ، فمن الذي معي ؟ »

انتهى الأمر !

كنت أعرف أنه سيسهل ... رأسي سينكشف عن شخصيتي عاجلا أم آجلا حين يعرفون الشبهة لكن ... هو أن يعود (ميدا) الأصلي في هذه اللحظة بالذات ... على ... برفاقه

ثم ... أن أفكر ... الطبيعي هو ... عاجز عن ... وهذا هو ... بنجاح ...

همس المدير بصوت مسموع

– « دعه يدخل .. والمدير .. »

وهكذا ... الأخ (جيمسون) ... الفتحة ويبدو أنه ... وفي اللحظة التالية تتحرج جسده ومن فوقه جسد رجل ... أصبح

وحينما وقف هذا الأخير ... الحيرة التي عصفت كل من ... بالطبع ... الشبه قوي

ولن تحسبه محض التوهم .. بل هو وسيم نوعًا ،
يكسو أصابع الرامي مخيل له شارب مصفف ويصبغ
العوينات .. ومن الواضح أنهم يدعون يسمون الأقنعة
التي تعرفوا بها في أرجاء الأرض

وقف (مبد) العظيم في منتصف القاعة ، وهتف

- « أيها الكومندار (ميدا) .. فلتكمل دورتك أيها
الجلكون الأعظم ! »

* * *

« بعد صرعت (اليوك) من جنس ، وقفت
(ميرالا) في المهرزر المقدسة .. كنت أشجع
الفرسان ، وكنت لي وحدي ! »

* * *

ب لنكرته .. شجيع فرسان عظمهم ، الذي صرع
(اليوركا) - يعلم الله من هو - هو الآن حصص
الجنود ..

نظر الجميع به ولي .. وهو أيضًا نظر ني في غير

لهم ، على حين بدت في عيني (سقدر) الحقيقة
هذه المرة قد عرف قلبها الاجابة الصحيحة

قال (الميجور) وهو يعبث بشاربه الكث

- « كما ترى أيها القادم .. إن مذنب هنا (مبدأ)
آخر .. »

صاح القائد في دهوى غاضب

- « كفى سخفًا ! هذا هو المخبول الذي ذكرته
النبوءة .. بالطبع ستسألونه عن القلادة وسلاح
(فن) ! »

- « للأسف هو يمسكهما .. ولكن ؟ »

دون تردد مرق القائد أول زرين من قميصه
ليكشف عن القلادة المعلقة حول عنقه ، ولوح
بالعصا الشبيهة بالأبنوس .. ثم هتف موجهًا الكلام
إلى (سقدرا) :

- « كيف يمكن أن نفعل في هذا التخبط ؟ »

قفزت (سقدر) وقد صار شكلها يهيب

- «جعلت الظروف صعبة ويبدو أن بيت الكومندر (مور) بسبب هذا الخطأ ..»

هتف قائد (المجور) بلهجة مرة:

- «حسن .. لم يبق أمامي سوى أن أمركما بنزع أقنعتكما حالاً !»

ووضع القائد يداه [illegible] وبدأ بنزع قناعيه كاشفاً عن سكة الفجوتين المسودتين بالصمرة الأحمر اللامع فيهما ..

نظر إلى الجميع في رعب .. السهب باستسلام وقلت:

- «حسن .. أعرف أنني مخطئ .. لكنكم لم تتركوا لي فرصة الاختيار .. كان علي أن أكذب كي أظل حياً !»

- «وكيف حصلت على القلادة وسلاح (الي) ؟»

- «لم أعرف معناهما وكيف .. كنت أبحث في غرفة [illegible] والدي في جدهما [illegible]»

صاح (جيبسون) العصبي دائماً:

- «الموت للدخيل ؟»

ورفع سلاح (الي) في الهواء واعتصره بقبضته لكن .. بتشطيع .. كان موقفه سخيفاً جداً، لأن شيئاً لم يحدث .. وقال المجور في إرهاق:

- «لا جدوى .. إن القلادة حول عنقه، ولا يمكن انتزاعها ..»

انفجرت أصابع (جيبسون) العصبي وهو يتقدم نحوي:

- «فلن نستعمل الأسلوب الأرضي القذر»

هذا الفتى [illegible] لن ينصف أبداً .. لكنني لا ألومه هذه المرة ..

لكن (سنتر) لوحت بكفها بسعة:

- «لا تفعل .. لا نريد اهتزازات هنا .. إن هذا قد يفسد بروتوكولات (الإكلوس) كلها .. إن هذه القاعة مقدسة ولن أسمح بأي عنف فيها ..»

ـ « الى هل نتركه ؟ »

نظرت الي في مرارة ، وقالت

ـ « لم لا ؟ انه عديم الخطر ، وهو لن يكون اكثر من عينة اضافية يضيفه الى عينات للبشرية سنأخذه معنا ! »

وهمست لي وهي تبتعد :

ـ « لقد خدعتني .. ولسوف تدفع ثمن هذا غالياً .. لعلك لا تعرف ان قلب الانثى لا يغفر الاهانة .. ولكن تختلف عنكم تشريحياً وعصبياً .. لكن قلبي قلب انثى لا تنسى هذا ! »

* * *

الآن بدأ ... حيث الامور تجري بسرعة

انها الساعة مساء .. وقد انتهى حظر الكلام بغير اللغة الإنجليزية .. وقد راح القوم يرقصون .. وهناك يتنقلون بين تلك البلورات المضيئة من موضع لآخر ، ويحيون بعضهم بتقرير ... بتلك اللغة العجيبة

نسي الجميع وجودي .. فاستندت الى واحدة من تلك البلورات ، ورحت ارمقهم .. كانت اقرب الى ... ذي قدمين .. استندت فوق كل قمة منهم كرة بلورية شفافة لا تكف عن الوميض ، وتكتسب مائة لون في كل ثانية

لكن ... الواضح ان الاخ (ميدا) يتمتع بكفاءة خاصة ، ولا ادري كيف كانوا سيلبسون ... لا يمس .. هو يتفوق علي في هذه النقطة على الاقل

الحق انها حفلة نحن غريبة

لكن ... يبدو انهم شعروا بأنهم ليسوا ... ثمة شيء خطأ لا ندري ما هو .. وهم يتبادلون الاراء .. ويسألون انفسهم كثيراً .. فجأة عادوا الى الكلام بالإنجليزية ..

قال الميجور موجها الكلام لي

ـ « انها فرصة .. سنعطيك فرصة للنجاة .. »

ـ « هذا يسرني .. »

ـ « ثمة مشكلة تواجه (الإكرون) .. ولم يعد

يوسع واحد منا أن يغادر هذا المقهى بعد بدء البروتوكول .. عليك أن تخرج من هنا وتغادر المنزل على الفور ، لكن عليك قبل مغادرته أن تغلق الباب المحطم جيداً .. الباب الذي حطمه (ميدا) حين حاول اللحاق بنا .. »

قال (جيمسون) في عصبية :

ـ « وكيف تعرف أنه سيفعل ؟ إنه مخادع ! »

نظرة واثقة شعت في وجه الميجور المخضرم ، وقال :

ـ « سيفعل .. لأنه لو لم يفعل هذا لما استطاع الرحيل ، وعندئذ سيظل على الأرض .. وسوف نجده .. هو يعرف أننا سنجده ، وسيكون قصاصنا منه مريعًا .. »

لم أشك في ذلك ، فهؤلاء القوم يمقتونني حقًا

قلت واضعاً يدي في جيب السروال :

ـ « اعتمدوا علي .. لن تكون هناك ألعاب هذه المرة .. »

قال الميجور :

ـ « بل هذا .. تذكر لمصلحتك الخاصة أن تغادر المنزل بأسرع ما يمكن ولا تنظر إلى الوراء كأن الشيطان يطاردك .. ولا تتمنّ أن القلادة أن تحميك مما سيخرج من هذا المقهى .. إن هناك طرقاً رهيبة للانتقام .. و (جيمسون) يجيد استعمالها .. »

ـ « لم أشك في هذا لحظة .. »

ومن جيبه أخرج ورقة مطوية .. تبدو عليها علامات القدم ، وقال وهو يحدق في عيني :

ـ « ما رأيك أن أروي لك .. من حقك أن تفهم أكثر .. خاصة لو بقيت حياً .. هذه الورقة تحكي كل شيء .. »

ثم أشار إلى الفتحة التي تحمل معها ، وقال :

ـ « والآن هيا وتذكر .. لن نرحمك لو فشلت هنا .. »

نظرت إليهم وقد وقفوا يرمقونني في شك ، وهززت رأسي بمعنى أنني أحييهم تحية السلام ، ثم جثوت على ركبتي وبلغت من الفتحة المذكورة



[illegible] بشيء من الجهد استطعت ان امر عبره
لأصل الى القبو المظلم

كان النفق قصير بعض الشيء ، لكني وجدت حجر الفتحة ما زال مفتوحا . وبشيء من الجهد استطعت ان امر عبره لأصل الى القبو المظلم

انتظرت ثانيتين حتى اعتادت عيناي الظلام ، ثم رحت اتحسس طريقي نحو باب الخروج

اخيرا ، كان اول ما فعلت هو ان صعدت الى حجرتي فكومت ثيابي والكاميرا كيفما اتفق في حقيبتي ، وجررتها الى الطابق الارضي . واخيرا استطعت ان أجد نفسي خارج الفندق رقم (؟) [illegible] اشم رائحة هواء الليل وارتجف من البرد الخفيف

لم اخدعهم . ان المرء يحترم تعهداته حتى مع الكائنات الغريبة . لهذا تفحصت الباب جيدا . وكان الاخ (ميدا) قد فتحه عنوة لكنه لم يهشم شيئا . وبقليل من الجهد تمكنت من غلقه بتحكم من جديد

وابتعدت نحو عشر او عشرين خطوة . ثم تذكرت ان علي ان ابتعد اكثر وبسرعة . وهكذا ـ بمنتهى ما تبقى لي من قدرة ـ رحت أحث السير سريعا

وأخيراً وقد صار الهيب خلفي بمسافة لا بأس بها
كهذه المسافة بين بيتك بـ (ريم) ومتجر البقال
عندك فقط وضعت حقيبتي على الأرض ورحت ألهث

ومددت يدي في جيبي أبحث عن كمبري الفيوزتين
اللتين أفلحت بسرقتهما دون أن يلاحظني أحد

على قدر علمي ستمنعهم هاتان الفيوزتان
المفقودتان من تنفيذ ما ينوون القيام به

لا أعرف حقاً ما ينوون القيام به .. يخيل إلي أنه
نوع من التفجير .. وربما كان التدمير النهائي للكوكب
على كل حال لن أترك شيئاً للظروف .. مع معرفته
من نسخة بروتوكولات (الإكلور) هذه .. فهناك
احتمال لا بأس به أن يفشل الإقلاع

هل يجدونني وقتها ؟ لا أظن .. سأكون وسط
زحام (سيدني) .. وبعد ثانيتين أكون في قرية أخرى
ومدينة أخرى ..

المهم أن تكون هاتان الفيوزتان مهمتين حقاً

ووقفت في الظلام أرمقهم يرمقونني بذلك البريق

الغامض المهيب .. ورحت أرى لا أحصي لهب تترقرق
على عدسات منظاري ..

ثم ..

حدث شيء غريب ..

* * *

في البداية خيل إلي أن الصاروخ رقم (٩) قد تم
دهانه كله باللون الأحمر .. بخلاف استحالة الأحمر
الأزرق ..

وأدركت أنه يرتفع .. يرتفع ببطء لكن
بثقة .. سيتحرر من أغلال ... يحرر نفسه من
قيود الجاذبية والأسلاك التي تحاصره به

إنها المفاجأة إذن !

الصاروخ رقم (٩) لم يكن سوى سفينة فضاء
مستترة .. على السفينة التي جاءوا بها من مائة عام
السفينة التي وقفت وحدها وسط الغرباء أعواماً .. ثم
لم تلبث الحضارة أن جاءت فجددتها وحفظتها
بمشروع .. وطبعت وجهتها .. وما تم معرفته مسبقاً

بالكروكيت ، فطالما أراد زوجها - الأحمق - ابتياع سفينة فضاء كي يعيشا فيها .

الآن كان العقرب قد ارتفع ثلاثة أمتار عن مستوى الشارع ، وصار المكان جحيمًا من الكهرباء الإستاتيكية ، حتى انتصبت كل شعرة في جسدي

بعدها عم المكان مجال مغناطيسي يشعرك بالغثيان وسرعان ما استحال لون المنزل أبيض لامعًا كاللؤلؤ أبيض مصمتًا من الداخل

ثم .. ثم تلاشت !

وعاد الظلام يغمر المكان ..

ومددت يدي في جيبي أبحث عن قلم الأبنوس فلم أجده

وتحسست عنقي أبحث عن القلادة فلم تكن هناك

* * *

خاتمة

في الصحف ، طالعت تلك القصة الغريبة عن المنزل رقم (٩) الذي تحول إلى غبار في الحادية عشرة مساء اليوم العشرين من مارس

إن خبراء المفرقعات يعرفون أشياء كهذه ، ويعرفون أنك تستطيع تحويل منزل إلى مسحوق غبار لو أنك وضعت المتفجرات بحكمة في الطابق الأرضي منه ..

من العسير بعد أن نستنتج سبب الانفجار ، وقد قام رجال الإنقاذ بكسح الأنقاض ، لكنهم لم يجدوا ما يدل على سبب الحادث . والجدير بالذكر هنا أن صاحبة المنزل لم تكن موجودة .. كانت في المستشفى إثر إصابتها في حادث سيارة غامض

* * *

جلست في الفندق الحقير الذي استأجرت ليلتين فيه

يا (ريم) ، رحت أرشف الشاي وأطالع الصحف

ثم وضعت الصحف جانبا . وبحثت في جيبي عن الورقة المطوية التي أعطانيها الغجري في الحقل لآخر مرة . فتحتها . وكانت مكتوبة بالإنجليزية مرفقة بترجمة إلى العربي الفصحى . وكان المكتوب كما يلي :

« إلى من يهمه الأمر ..

« يهمني هنا أن يعرف من يجد هذه الورقة ، حكاية الأحداث العجيبة التي أدت بي إلى امتلاكي المنزل رقم (5) ..

« القصة هي أنني - أنا (جيمس توميسون) - لم أمتلك شيئا في حياتي ، وكنت أتمنى يوما أن أمتلك قطعة أرض واسعة لانتشار المسماة (المعروف)

« لم أكن أملك إلا رقعة خربة من الأرض خارج (سيدني) ، لا تصلح لشيء ولا يوجد بها ماء ولا شيء ، وقد تلقيت عروضا لشرائها ببضعة ملاليم ..

« وفي ليلة من العام 1858 توهجت السماء الملبدة بالغيوم مرارا ، ورأيت ضوءا غامضا يهبط من علٍ ، ثم أعشى الضياء عيني لربع ساعة . كنت في منتهى الذعر ، ورأيت الماشية تخور وقد انتابها الهياج .

« فلما استعدت بصري ، وجدت أمامي بيتا جميلا من طابقين ينتصب وسط العراء . وكانت أجزاء منه ما زالت تترقرق بنور حمراء غامضة ، كأنني أراه في لحظة التحام بعد تفككه

« وانفتح الباب وبرز منه عدد من الرجال وامرأة كانوا يبدون كالبشر تماما ، فلم يخف قلبي هلعا

« كان أكبرهم يبدو كشيخ مسن ويبدو أنه أكثرهم مكانة ويطوعونه . أشار لي كي أدنو منه قليلا فدنوت متوجسا . دعاني إلى الدخول خلفه إلى المنزل ، ولم تكن لدي ذرة خيار ، لذا تبعته إلى المنزل حيث كانت قاعة جلوس أنيقة تضيئها الشموع . وقد قال لي :

- « لا تخف أيها الرجل الطيب . هذا البيت الجميل

لك ، ولسوف أعطيك صكاً بملكيته ، فعليك أن تذهب إلى البلدية ، وتنسبه لنفسك .. هذا البيت ملكك وملك أولادك من بعدك ، لكن لا تفرط فيه ولا تحاول أن تهدمه ، وإلا كان عقابنا شديداً .. »

« وهكذا وجدت نفسي أملك بيتاً جميلاً .. ثم يسأل أحد أسئلة لأن البقعة كانت مقفرة مهجورة ، وقد تركني هؤلاء القوم وحدي ورحلوا دون أن يقدموا لي أية تفسيرات ..

« احتجت إلى شهر أو شهرين كي أتخلص من هلعي ، واحتجت إلى عام حتى قررت أن أقيم فيه مع زوجتي وابني .. وبعد هذا لم يعد الأمر عسيراً ، وراقت لي الحياة فيه .

« لكني من آن لآخر أسأل نفسي أسئلة كثيرة : من هؤلاء القوم ؟ من أين جاءوا ؟ هل هذا المنزل منزل حقاً ؟

« لذا أكتب هذه الكلمات ، وأخبئها في القبو ، لعل واحداً ممن يأتون بعدي يجدها ، ويبحث عن السر ويحله ..

« بالطبع سيرث ابني (ألفريد) البيت من بعدي ، لكنه لن يعرف هذه القصة .. فقط سأوصيه ألا يهدم المنزل أو يفرط فيه ، وأن يعمل على أن يرثه ولده من بعده ..

« وأدعو الله ألا تكون هذه الصفقة تجديفاً ما أو خرقاً للنواميس الطبيعية.

(جيمس اوسبورن)

بالطبع لم يكن مع هذه الورقة أي عقد من أي نوع ..

وأدركت أن هذه الورقة ظلت في القبو فترة ، حتى عرف الميجور كيف يجدها ويحتفظ بها ، لأنها تزيل الستار عن ميلاد المنزل رقم (٤) .. ولولاها لظللت لا أفهم شيئاً ..

عرفت كذلك أن (ألفرد) - ابن كاتب الرسالة - قام بتجديد المنزل وأعطاه طابعاً عصرياً ، ثم باعه لأنه لا يعرف أهميته الخاصة ، ولأنه لم ينجب ، مما جعله يتحرر من عهد توريث المنزل لأولاده ..

هكذا اشترى مستر (باتكروفت) المنزل الوحيد في العالم الذي كان سفينة فضاء متنكرة ! لم يخطر ببال أحد أن غرفة المحركات الرئيسية تقع تحت القبو ، ويصلون إليها عبر فتحة المدفأة ..

ثم دنا موعد الرحيل ، وجاء أشخاص متحمسون يطلبون من العجوز أن تمنحهم غرفة هنا ، ويبدو أنهم لم يكونوا في البداية ميالين إلى العنف ، لكن عناد العجوز وعنادي جعلاهم على استعداد للقتل .. وقد كانوا يقتلون ..

لكنهم لم يضعوا في اعتبارهم أن رجلاً يدعى (رفعت إسماعيل) سيسرق بلوتونيوم من غرفة المحركات قبل الانطلاق ..

لقد صدع بأمرهم وتأكد من غلق باب البيت (لايمكن أن تطير سفينة فضاء وبابها مفتوح) ، لكنه كما تعلمين خدعهم وسرق قلب المحرك .. ترى هل كان هذا هو سبب انفجار المنزل ؟ أم أن خللاً آخر في المحركات كان هو السبب ، وكما حدث مع مكوك الفضاء (تشالنجر) في الثمانينات ؟

ترى هل ماتوا حقاً ؟ أم أن لخلاياهم القدرة على تحمل أشياء كهذه ؟ ولو لم يكونوا ماتوا فأين هم ؟ أتراهم يبحثون عني للانتقام يوماً ما ؟

الحقيقة أن عدد الكائنات الموتورة التي تريد رأسي قد تزداد أكثر من اللازم هذه الأيام ..

* * *

وفي الظهيرة ذهبت لزيارة المستشفى حيث كانت مسز (باتركروفت) .. كانت قد تحسنت كثيراً ، وإن ساءت ثانية حين عرفت أن منزلها قد تلاشى من الوجود .

— « ما السبب ؟ لابد أن (ساندرا) المخبولة قد تركت الموقد مشتعلاً ، وراحت تلهو كعادتها ! »

ابتسمت في مرارة ، وقلت لها :

— « يمكنك أن تفترضي هذا الاحتمال ، فهو على الأقل مريح ويبدو مناسباً لما نعلمه عن الكون ! »

وودعتها للمرة الأخيرة ، لأنني عائد إلى وطني ،

قالت إن لديها مدخرات تسمح لها بالإقامة فى ملجأ للعجزة لأنها صارت عجوزا حمقاء بائسة .. ولم ألمها كثيراً على ما قالت ..

وعند باب المستشفى توقفت عند صندوق مهملات ، وتخلصت من البلورتين اللتين أعطتنا جيبى .. من أدرانى أنهما ليسا جهازى إرسال يبثان لكائنات أخرى من هذا العالم أو تلك أخرى ؟ كل هذا ممكن ..

حقاً كانت قصة غريبة ..

تسألين عن المغزى يا (ريم) كعادتك .. وكعادتى أقول إننى أكره اعتصار القصص لينز منها مغزى ما ، لكن ـ كى أريحك ـ أقول لك النصيحة التالية :

قبل أن تسكنى فى منزل جميل ، تأكدى أولاً من أنه ليس سفينة فضاء متنكرة !

* * *

آن لى أن أستريح ..

لكنهم لا يستريحون ..

والمومياء كانت بانتظارى على أحر من الجمر ..

ولكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات مصرية للجيب

أسطورة المنزل رقم 5

ولماذا المنزل رقم 5 بالذات؟

لماذا هذا الإلحاح وهذا الحماس

المشبوب الذي يصل إلى درجة

القتل؟ من هم؟ من أين جاءوا؟

هذا هو ما يحاول (رفعت

إسماعيل) العجوز معرفته..

وبالطبع نحن معه..



د. أحمد خالد توفيق

المؤسسة العربية الحديثة

العدد القادم

أسطورة الأوصياء